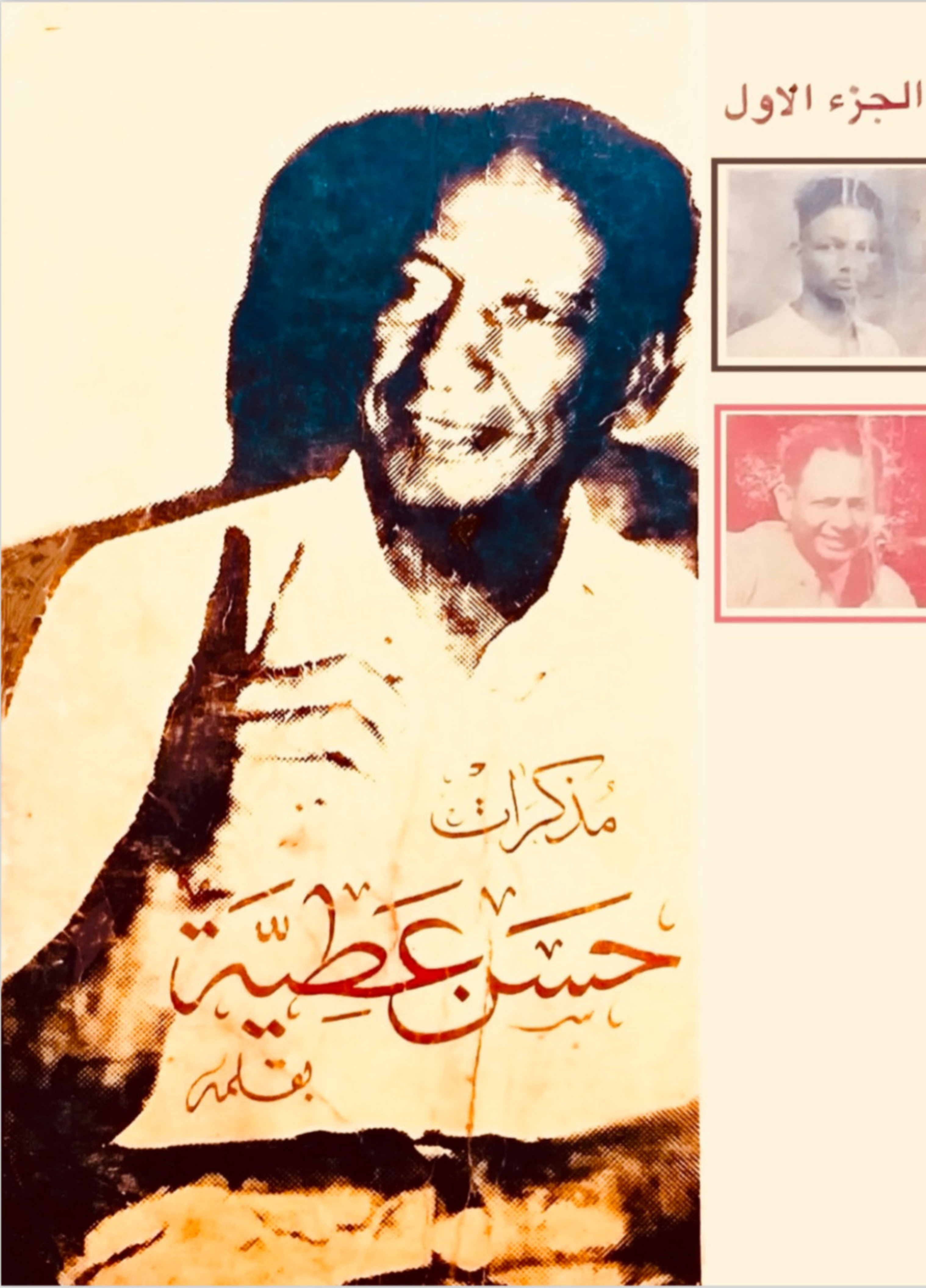
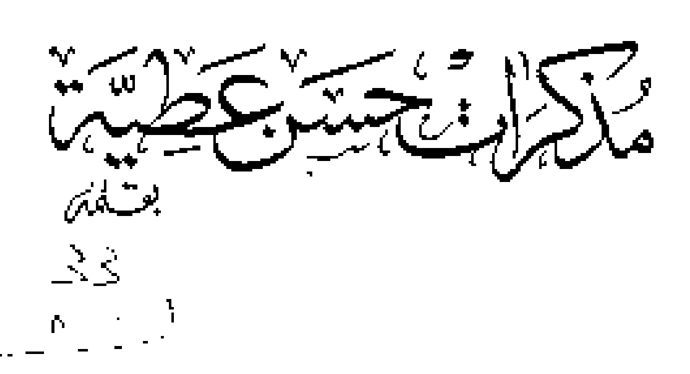
الجزء الاول



مذكرات حسن عطية

بقلمه


مذكرات حسن عطية
بقلمه

الاهداء

الى زوجتي الوفيـــة ست الجيــل التي صنعت معى احــداث هذه المذكرات وتلظت معى بنار الفن فكانت بردا وسلاما عليها . والى ابنى محمد اهديها له عربونا لرضائي عنه واعجابى به .





* شكر وتقدير *

كثيرون هم الذين مدوا لى يد المساعدة ودعموا هذا المشروع منذ فترة مبكرة وقدموا من العون الفنى والمادى ما جعل نشر هذه المذكرات ممكناً وعلى رأس هؤلاء أصدقائى الأساتذة:

★ **شريـــف مطـــر**
★ **محى الدين تلب**
★ **يوسف طه ابراهيم**



صورة للمؤلف عام ١٩٣٦م

الباب الاول

الميلاد والنشأة

أنا حسن محمد عطيه الريح علي. . . ولدت في عام ١٩٢١ في حي في قلب الخرطوم. . . ومازال يتمثل في خاطري حينا المتواضع القديم وكان يسمى «فريق المراسلات» ولست ادري لماذا سُمي باسم «المراسلات» بينما كانت تحوط الحي أسر عريقة من مختلف الاجناس ومنازل انيقة حول هذا الحي «مثل اولاد فرج بيه ابوزيد، وعم الجزلي جد صديقنا عمر الجزلي المذيع المعروف واسرة عندوم (الأثيوبية) والد ملس ويوهانس وأمان وبنتين». وأمان هذا كان زميلي في الانجيلية وهو الذي قام بالانقلاب الثالث المشهور ضد هيلاسلاسي في اثيوبيا. وقد أزيل هذا الحي وحل مكانه في الخرطوم الحديثة الحالية مبني نادي العمال. . . وكان منزلنا في الجهة الشرقية منه.

وكان هذا الحي يتكون من صفّين من المنازل المبنية بالآجر ويتكون كل صف من خمسة منازل متلاصقة وكل منزل يحتوى على غرفتين و«راكوبة» مصنوعة من العروق الخشبية وسعف النخيل والبروش وداخل الراكوبة «التكل» اى المطبخ، والمرحاض ذي الجردل كما كان حال المراحيض في الخرطوم في ذلك الزمان البعيد.

وكانت في مواجهة حيّنا زريبة ضخمة للبهائم والماشية المجلوبة للبيع وكذلك ماتحمله على ظهورها من محاصيل معروضة للبيع ايضا، وعلى يمين هذه الزريبة تقع مدرسة «كومبوني» ثم مدرسة الارسالية الانجيلية ثم مقبرة ابوجنزير ثم مدرسة الخرطوم الابتدائية وكان مكانها امام فندق اراك الحالي. وكان رفاعة رافع الطهطاوي مديرها حينا من الزمان ولقد كانت هذه المدرسة احدى مدرستين بالعاصمة المثلثة والثانية مدرسة ام درمان الاميرية وقد اشتهرت المدرسة الخرطومية بأنها قد رضعت من ثديها أجيال متعاقبة من المثقفين الذين قامت على اكتافهم نهضة السودان ورقيه وازدهاره من اطباء وعلماء ومهندسين واصحاب اعمال وضباط في القوات النظامية وفنانين ومهنين وغيرهم.

هذه المدرسة أزيلت الآن بكل أسف ليحل محلها برج إسكاني يقيمه احد البنوك التجارية.

انجب ابى من الست زينب بنت البيه اخى الاكبر على ثم يوسف ثم شخصى وفاطمة ونفيسة وعبدالمنعم (عطيه) ونعيمه وصالح وسميت انا باسم جدى حسن بك الكاشف

استقر ابى بالسودان فترة طويلة انجب فيها ابناءه سالفى الذكر وفى ذات يوم حضر احد اصدقاء والدى والذى كان معه فى سوريا ومعه خطاب من الباشا السورى يطلب رجوع ابى لسوريا للعمل كما كان بمرتب اكبر ومساعدة اجمل.
وتحت هذا الاغراء رجع ابى ولكن هذه المرة كان العمل بمنزل الباشا السورى (كهاوس كيبر) ومعناها راعى المنزل ثم رئيسا لكل العاملين بالقصر.. ولكن هذه المرة لم يتحمل الغربة وخصوصا بعد ان تزوج واصبحت له زوجة واثنين من الاطفال. وطلب من الباشا العودة الى الخرطوم ولكن الباشا لم يستجيب.. وجرت المفاوضات وتحت اصرار ابى بحجة الاطفال هناك. قال له الباشا احضر زوجتك واولادك نعطيك منزلا وندخل الاطفال مدارس البلد ويكون لهم مستقبل احسن من السودان مع الاستعمار واذا استمريت معنا الى حين يتخرج الاولاد من المدارس سوف يكون لهم شأنا عظيما.

قبل والدى السفر وتقرر يوم الرحيل ووصل ابى الى السودان والراوى لم يزل هو ابى وكان يروى لنا هذه القصص دائما بالليل مثلها مثل الاحاجى. وكان يحمل معه اشياء كثيره وهى عبارة عن ملابس صوفيه وحريريه وروائح عطريه وحلى ذهبية. وطبعا انا لم اكن قد ولدت فرحت امى واطفالها وجيرانها ونحرت الذبائح ودامت الافراح لمدة شهر كامل وفى هذه المرة لم يفكر ابى للعودة الى سوريا (لسوء حظنا) نحن الاطفال تحت اصرار امى والغربة الصعبة،توفى حسن بك الكاشف وتزوج بابكر السريه وهو رجل غريب عن الست ام نفايل والدة امى وارملة البك كما قلت وكان يعمل بمصلحة التنظيم وهذا المعلم موجود الى الآن كان قبل ان يكون مصلحة التنظيم كان اول مستشفى للخرطوم وهو موجود الان كما هو بجوار صالة غردون للموسيقى

كان يعمل بمصلحة التنظيم معاونا وكان يلبس الجبة والقفطان والعمامه مع المركوب أو الحزاء من الجلد الانجليزى

طلب السيد بابكر السريه من ابى ان يسكن معه وزوجته واطفاله : الحكومى لكى تكون امى مع والدتها وفعلا تم له ذلك واستمر الحال الى اا

هذا المنزل وسنحدد مكانه فى الخرطة هذا الحى كان يسمى باسم المنازل الحكوميه فى هذه المنطقة وهى حلة المراسلات ويتكون هذا الحى من صفين من المنازل كل صف مكون من خمسة منازل وكان يسكن هذه المنازل بابكر السريه جدى وزوج حبوبتى وقصاده فى الصف الثانى الشيخ سليمان عبدالرحمن ابو حنك من قبيلة الجعليين وهو والــد الاخوه عبدالقادر سليمان وحسن سليمان. كان يعمل فى وظيفة رسمية بمرتب رسمى ومعها حوافز وعمله فى ذلك الوقت يسمى ب شيخ الخدامين وهو اول نواه لمكتب العمل اما ابنه عبدالقادر كان يعمل موظفا وكاتبا بالمديريه بجانب عمل والده كما كان نديما للشاعر المرحوم خليل فرح وقد كان اول من عزف الاغانى السودانية بالعود المصرى. اما حسن وهو الفنان الهاوى المعروف رحمه الله. زميلى فى الكتاب بالخرطوم الابتدائية وكان أكبر منى باربع سنوات..

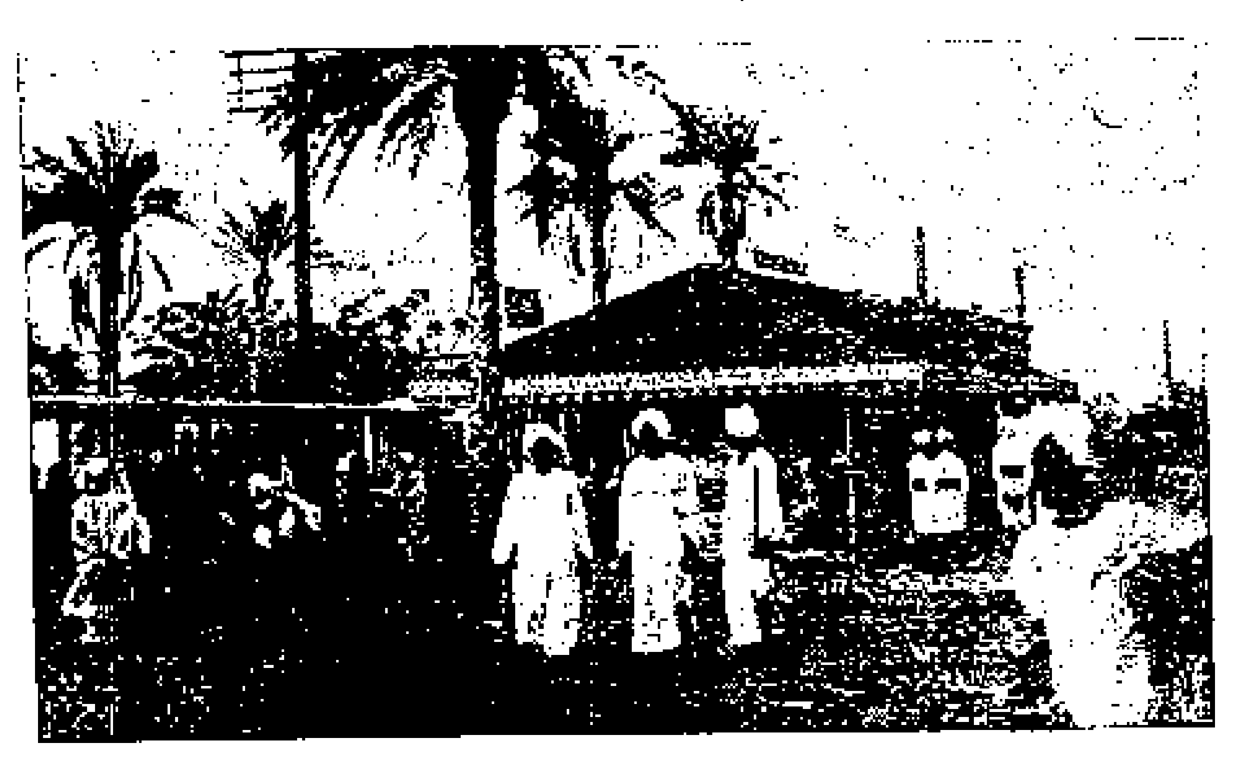
ومن الصف الاول يسكن رجل اسمه عمى جوهر وهو اصلا من الموردة وله ابن واحد واسمه حسن جوهر طالب بالمدرسة الحربية وعندما بلغت السابعة من عمرى تخرج حسن جوهر ضابطا برتبة ملازم ثانى (نجمه واحده) وأقيمت له عدة حفلات بموسيقى الجيش واغانى ورقصات اهل الحى لمدة عشرة ايام ويقاصده من هناك فى الصف الثانى الخليفه محمد الحنفى شيخ الطريقة الاسماعيليه ومن بين المنشدين أبناءه واحفاده وجيرانه وكنت من ضمنهم وكان هذا الشيخ قد خصص جزءا من منزله خلوة لتعليم الاطفال القرآن الكريم ودرسنا فيها نحن جميعا ابناء الحى قبل الذهاب الى الكتاب الحكومى . . أو الابتدائية الحكومية الوحيدة فى الخرطوم تعادلها مدرسة اخرى بالقرب منها ومن سينها كلزيوم اسمها المدرسة الانجيليه وهذه الاخيرة ذهبت اليها بعد ان لم اوفق فى اجتياز امتحان اللجنة ومكثت بها الى ان تخرجت منها من ثانية ابتدائى . .

وكانت فى الخرطوم آنذاك اربع خلاوى هى : خلوة الشيخ الكنزى وكانت تقع جنوب المـدينة وكانت خلوة نموذجية عامرة بطلابها. ثم خلوة الشيخ محمد بابكر المقرىء المعروف وكان قد تبرع بمقرها الشيخ محمد عبد القادر تلب وتقع فى وسط المدينة فى المكان الذى تشغله الآن عمارة السيد على ابراهيم مالك، ثم خلوة الشيخ عمر وتقع غرب الخرطوم بالقرب من عمارة بنك فيصل الاسلامى، ثم خلوة الشيخ حامد وهو مصرى الجنسية وكانت اقرب الى الكتاب منها إلى الخلوة من حيث التنظيم

وتدريس الحساب واللغة العربية الى جانب تحفيظ القرآن الكريم. وكان لها نشيد خاص بها ألفه الشيخ حامد ومطلعه يقول:

للمدرسة النجاح اسرع وبادر
وحاذر ان يكون الوقت حاضر

ومن أبرز معالم الخرطوم آنذاك ميدان المحطة الوسطى وكان بمثابة ملتقى لكل



ميدان المحطة الوسطى بالخرطوم

خطوط الترام ولهذا كان تجمع للطلبة الذين يستقلون الترام ذاهبين لكلية غردون التذكارية في اقصى شرق الخرطوم او للخرطوم بحرى او ام درمان كما كان هناك خط ترام يدور نصف دائرة حول الخرطوم ولذلك سمى «ترام الدوران» وكان أول وآخر وسيلة نقل جماعى تنقل الركاب من شرق المدينة الى غربها حتى يومنا هذا!!.



الترام بالخرطوم

وكان خط هذا الترام ينتهي امام مبنى الحقانية «الهيئة القضائية الآن» وكانت محطته قبل النهائية في مواجهة «الحلواني» وهو التعبير الشائع لاسمه الاصلي «مقهى وبار اللورد بايرون» وسأتحدث عن هذا الحلواني باستفاضة في مجال آخر من هذه الذكريات.

ويخترق خط هذا الترام شارع السلطان «شارع السيد عبدالرحمن المهدي الآن» وكان هذا الشارع من اهم شوارع الخرطوم اذ يمر بمعظم منازل الأسر الخرطومية العريقة بدءا من منزل الحاج عبدالله شروني فالحاج عثمان النميري فاسرة عباس النعمة واسرة شاه علي بكش الهندي السوداني فاسرة الحاج جعفر النميري واسرة المرحوم خضر حسنين سعد واخوانه واسرة الحاج محمد حسن السواحلي واسرة علي سلمان واسرة الحاج عباس علي كمير واسرة عبدالله الزبير واسرة نجيب الاسيوطي واسرة عبدالقادر أحمد سعيد واسرة محمد عبدالقادر تلب واسرة حاج الخضر علي كمير

واسرة فريد سيدهم واسرة آل دسوقي واسرة بابكر جعفر واسرة عبدالمجيد ادريس واسرة ابراهيم غالى وكان منزل هذه الاسرة مشهورا بانه يحتوى على معاصر للزيت بطريقة الجمال البدائية ثم اسرة حسن عبدالله واسرة طنون واسرة مصطفى خليل واسرة قسم الله سليان وآل ابوقرجه فمنزل الحاج ابراهيم الموشلى واسرة يسن يعقوب ويضم منزلهم عائلات متعددة من بينها اسرة الشاعر المرحوم محمد على عبدالله ثم حوش اولاد الزبير باشا.

وكان فى هذا الحى ثلاث مقاهى بلدية هى: مقهى ومطعم الشيخ حسن سعد ومقهى الشيخ عثمان ابراهيم الزيبق ومقهى العيلفون. . . وكانت هذه المقاهى تدير الحاكيات «الفونوغرافات» التى كانت تبث اغانى الرعيل الاول من الفنانين السودانيين والتى كانت مسجلة على اسطوانات كما كانت تبث اغانى المطربين المصريين كمنيرة المهدية وفتحية احمد وسيد درويش وغيرهم وكذلك فكاهات الكوميديين المصريين.

واذكر انه كلما اكتمل لدينا - نحن معشر صبية الحى - ثمن كوب الشاى باللبن هرعنا لاحتسائه فى «قهوة العيلفون» المجاورة وقد كان ثمن براد الشاى فى ذلك الحين خمسة مليمات واذكر فى شارع ترام الدوران وبالقرب من كلية الطب زكية بائعة السمك المقلى والتى كان معظم سكان الحى يعقدون عليها الآمال لتناول افطارهم واذكر ايضا السيد زكى ابراهيم صاحب أول محل للسندوتشات. وفى نفس الشارع يقع منزل أبناء فرج بك ابوزيد وهم سعيد وعبدالقادر وشقيقتهم الوحيدة والتى ساتحدث عنها فى مكان آخر من هذه المذكرات وبالقرب من مقهى الحلوانى «لوردبايرون» محل اشتهر «بالسيخ» وسلطة الباذنجان بالزبوب وكان المحل للعم احمد عبدالله الجزار الملقب «بالالوبة» وفى جولتنا هذه نتخطى شارع فكتوريا «شارع القصر الآن» متجهين شرقا فنجد منزل وديع دغمان «السورى» وهذا لقبه وهو أول من إحترف تربية الخيول وهو أحد مؤسسى سباق الخيل فى الخرطوم وودمدنى. ونمضى فى تجوالنا فنجد امام مستشفى الخرطوم «الاميرى» حيث يقع منزل البكباشى أحمد حسين وبعده منزل الشيخ الامام رئيس مراسلات البريد والبرق - وكان للشيخ الامام هذا إبن يدعى أحمد وهو شاب اتصف بالاناقة وحسن المظهر وكان أحمد اول موظف سودانى بشركة الخطوط الجوية السودانية والى الجنوب ناحية السجانة القديمة يمر خط ترام الدوران بحى «الخرس» الذى يضم الضباط والجنود من حرس الحاكم العام. ثم

اسطبلات الخيول وينتهي الخط عند المدرسة الاغريقية حيث يبدأ خط ترام الخرطوم بحري والذي يمر أمام منزل المغفور له السيد عبدالرحمن المهدى وبيوت كبار الانجليز وكلية غردون التذكارية متجها الى كبرى النيل الأزرق.

الباب الثانى

الخرطوم أيام زمان



سوق الخرطوم عام ١٨٩٩م

حدود مدينة الخرطوم

كانت الخرطوم فى ذلك الحين تحد شمالاً بالنيل الازرق وشرقاً بكوبرى ا لجيش البريطانى الفاصل بين الخرطوم وبرى وجنوباً باستحكامات غردون ومحطة السكة حديد أما من ناحية الغرب فكانت تحدها حدائق «ركابى» وسواقى أبوحسبو.

وكان سوق المقرن القديم هو محطة معدية أمدرمان.

كانت هناك اربعة حيشان كبيرة تجاور حى المراسلات وهى حوش الدكتور معلوف وحوش الحمايا وفندق اصطفانيان الارمنى وكانت هذه الحيشان مأوى للنازحين الى

الخرطوم والقادمين اليها من الاقاليم المختلفة ، وبجانب هذه الحيشان منازل خاصة بالاجانب وهم خليط من جنسيات متعددة فيهم اليهود والارمن والاغريق - والشوام والمصريون والهنود وكان هذا الكم الهائل من الاجانب يمتهنون مهناً مختلفة .

يقع شمال الحيشان سوق الحدادين وهو سوق عامر تصنع فيه معدات الزراعة مثل الملود والطوريه والسكاكين وعجلات الكارو ومن اشهر الحدادين الشيخ الامين شيخ الحدادين وهو رجل انيق حسن المظهر يحافظ على نظافة هندامه حتى اثناء تأدية عمله . وكان الى جوار سوق الحدادين قصاصو شعر الحمير وقد اشتهروا بذوقهم الرفيع وتفننهم فى رسم اشكال هندسية جميلة على ظهورها . ولا نبعد كثيراً لنجد سوق «التمارة» و«العياشة» وهو سوق عامر بكل انواع الحبوب والثمار والتى تأتى اليه من بقاع السودان المختلفة من تمر ودخن وصمغ وذرة ومن اشهر تجار هذا السوق الشيخ الحاج الامين هاساى والد الاستاذ المرحوم عبدالرحيم الامين هاساى وكان بالقرب من متجره محل الحياكة البلدية وصاحب هذا المحل هو الشاعر الفذ أحمد حسين العمرابى ومن الطبيعى ان يصبح محله منتدى للشعراء يرتاده شعراء الحقيبة مثل ودالرضى وابراهيم العبادى وغيرهما . .

كانت كل هذه الاسواق المتجاورة تلتف حول ميدان كبير واسع سمى بميدان المولد وهو ميدان الامم المتحدة الحالى وكانت تقام فى هذا الميدان الاحتفالات بذكرى المولد النبوى الشريف وكانت الاحتفالات فى الخرطوم ذات طعم خاص وعلى الرغم من وجود احتفالات زفة المولد فى امدرمان والخرطوم بحرى الا ان سكان المدينتين يحرصون على حضور ليالى المولد بالخرطوم لطابعها الخاص فقد كان التجار يجلبون الحلوى من الشقيقة مصر وأذكر تلك السيدة المصرية البدينة [امونة الحلونجية] التى كانت تظهر ايام المولد وتبقى فترة طويلة بعد آخر ليلة من المولد تبيع الحلوى فى ذلك المكان . كانت ليالى المولد من امتع ليالى الخرطوم .

وكانت متعة هذه الايام عامرة للصغار والكبار وكانت الاستعدادت له تبدأ بزفة رمضان ومولد الرسول صلى الله عليه وسلم تسبقها استعدادات من جميع افراد الشعب ويهتم بها الصبية والاطفال بصفة خاصة يخرجون فى مواكب تتقدمها فرقه موسيقى البوليس وبعض الضباط وصف الضباط والجنود يتقدمهم فارس يمتطى صهوة جواده شاهراً سيفه ثم الطرق الصوفية بنوباتها واناشيدها ورتل من عربات

الكارو محملة بالمحتفلين واصحاب المهن المختلفة حيث يتبارون فى الهتافات قائلين كلمة معروفة جداً بينهم وهي (العز لمين . . للحدادين)، (العز لمين . . للنجارين) و(العز لمين . . للجزارين) وهكذا بقية المهن وكانت الزفة تقام فى كل مدينة من المدن الثلاث يقابلها الناس بالتصفيق والنساء بالزغاريد تسير (الزفة) فى اهم شوارع المدينة وينتهى بها الطواف الى ساحة المولد فى المدن الثلاثه حيث ينتظرون زيارة الحاكم العام ومعه العمدة ممثل الادارة الاهلية ليبدأ زيارته بخيمة الحكومة لفترة بسيطة ثم يتجه الى خيمة السيد على الميرغنى ثم خيمة السيد عبد الرحمن وهكذا ينصرف الحاكم وتستمر اخر ليلة فى المولد. وكان لكل من الطرق الصوفية سرادق وكانت تتنافس فى تأسيس تلك السرادق وتجميلها ومن اشهرها سرداق الحكومة وعلى يمينها سرداق السيد على الميرغنى وبيسارها سرداق السيد عبدالرحمن المهدى وبالقرب من هذه السرادق سرادق ساحات الاحتفالات فى العاصمة المثلثة.

وكانت الخرطوم مقسمة فى ذلك الحين لاربعة اقسام هى الأوسط ويشرف عليه العمدة محمد كرم الله، والشرقى تحت اشراف الشيخ حسن سليمان والغربى للشيخ احمد نصر ويشرف على القسم الشمالى الشيخ عثمان منصور. فى تجوالنا داخل سوق الخرطوم هناك اماكن لم نقف عليها مثل زنك اللحمة والذى كان بمكانه الحالى وقد دخلت عليه بعض الزيادات مؤخراً. كان شيخ الجزارين عام ١٩٢٠ يدعى الشيخ سعيد الفوراوى خلفه على الشياخة الشيخ على سلمان ثم الشيخ احمد حسن يسن والشيخ عثمان احمد حسن ياسين، «نجل الاخير» هو شيخ الجزارين الحالى وهو خريج نهائى التعليم الثانوى. وآثر ان يواصل مهنة اسلافه عزوفا عن الوظيفة الحكومية. وكان هؤلاء الرجال مثالاً للأخلاق الفاضلة الكريمة يرتدون «فوط» بيضاء ناصعة البياض

تعكس نقاء سريرتهم فتحسبهم وكأنهم ملائكة الرحمة. وكانت هناك رقابة على اللحوم واهتمام بالكشف الصحي عليها ويتم دمغها مرتين مرة في السلخانة «المذبحة» وأخرى «بالزنك» وهي لا تحتاج لكل ذلك في تلك الايام.

كان هؤلاء الجزارين في اخر النهار يعودون الى منازلهم على ظهور الحمير التى كانت وسيلة النقل الوحيدة وهي بمثابة المرسيدس الآن. كانوا يعودون لمنازلهم ليتهندموا بافخر الثياب مثل الفرجية والقفطان والبالطو والعمة المغلفة والطاقية الحمراء [شغل بنات الحي باليد] يتهندمون ليلتقون في المساء بالمقاهي.

وبجوار زنك اللحمة سوق الخضار وكان مكوناً من دكاكين [حوانيت] صغيرة مصممة في شكل مثلثات زادت من روعتها. وكانت الخضر والفاكهة تحفظ بالماء. واتصف الخضرجية بصفات اهل ذلك الزمان فتحس فيهم روح الدعابة يلقونك بالبسمة والترحاب واذكر منهم الشيخ السواحلي ومامون المعلا ومحمد جعفر وشيخ الخضرجية الشيخ نمر.

على بعد امتار من ذلك السوق تجد مطعم الفوال وهو مكان مطعم الفوال الحالي وصاحبه محمد على الفوال.

كان المطعم يقدم في الثلاثة وجبات صنفين فقط هما الفول والطعمية ويأتي الزبائن لهذا المطعم من اماكن بعيدة.

واذا اتجهنا شمالاً تجد الحلواني (اللورد بايرون) وهو ملك ليوناني وكان مكان البنك التجاري الكائن بشارع الجمهورية حالياً، يفتح الحلواني مبكراً ليقدم في الصباح شاي باللبن والزلابية بعسل النحل لموظفي المصارف وكانا مصرفين هما البنك الاهلي المصري وكان مكان وزارة الثقافة والاعلام الآن وبنك باركليز [بنك الخرطوم الآن] ويقع امام وزارة الثقافة والاعلام وكان الحلواني يقدم ايضاً [وجبة الافطار] «سندوتشات» لموظفي الحقانية [القضائية] والمالية والبوستة والتلغراف وكل المؤسسات المجاورة له والتي لم يطرأ عليها جديد الى الآن. وكان فوق كل ذلك مكاناً للقاء السماسرة والتجار يقضون فيه جل وقتهم يعقدون فيه الصفقات وكل رجال الجيش والشرطة والموظفين في عطلاتهم السنوية يجتمعون في الحلواني. وكانت الحركة تقل فيه عند الظهيرة الى ما بعد غياب الشمس حيث يستأنف نشاطه مساءاً حتى الساعة الحادية عشر مساءاً.

يتألف الحلواني من ثلاث صالونات امامها فرندات دائرية ومساحته تبلغ حوالي

٣٠٠ متر والداخل اليه من الباب الرئيسى المقابل للغرفة التجارية الموجودة الآن فى نفس مكانها يقابل الكاشير [عامل الخزينة] وغالباً ما يقوم بالمحاسبة اليونانى صاحب الحلوانى نفسه أو أحد انجاله وعلى يسار [الكاونتر] بار صغير وعلى اليمين صالون مؤسس بافخر الأثاثات من الكراسى وموائد منسقة بشكل جميل وباهتمام بالغ وتلاحظ العناية الفائقة فى نظافة اوانى الطعام والمشروبات وكانت كلها من الزجاج والصينى .

وكانت تقدم مع المشروبات الروحية اصناف من الجبن والفول السودانى والزيتون والبيض بما يناهز تسعة اصناف مختلفة، تقدم للزبون مع طلبات المشروبات . وكان للحلوانى طبق مميز من الفخار يقدم مع قنينة الخمر والمثير فى هذا الطبق انه يحتفظ بحرارة الطعام لمدة طويلة وخاصة طبق الباسطومة بالبيض كما يقدم الحلوانى وجبات طعام اغريقيه الى جانب ما يقدمه من الوجبات الوطنية المعروفة .

فى جانب آخر من الحلوانى طاولة للبلياردو ومكان للعب الطاولة والدوميتو [الضمنة] والكشتينة . ومن المشروبات الغازية يقدم الحلوانى الليموناده البيضاء والجنجبير والجنجنبر وتقدم هذه المشروبات للاخوة المسيحيين لان هذه المشروبات كانت مسموحة على المسلمين السودانيين اضافة الى ذلك يقدم الباسطة المشهورة باسمه والحلويات .

نترك الحلواني ونخرج الى شاطيء النيل الازرق وبطوله تسعة منازل فقط هي سراى الحاكم والسكرتير القضائي ثم السكرتير المالي والسكرتير الاداري ومهندس الري المصري ومدير المصلحة الطبية والقائد العام ثم سراى السيد علي الميرغني وأخيرا الفندق الكبير والى الغرب منه حديقة الحيوان وجنينة أولاد ركابي للخضر والفاكهة وهي مكان قاعة الصداقة الان وعلى مقربة من النيل الابيض حي المقرن ومخازن



مركب قوتي «المعدية»

السكر والغلال وعلى شاطىء النيل المقابل نجد (الاسكلة) وهي ميناء البواخر النيلية المتجهة للجنوب والشمال وهي مكان كبرى النيل الابيض قبل تشييده. وكان الناس يتنقلون بين الخرطوم وامدرمان بباخرة نيلية [وابور البحر] والمراكب الشراعية وقد سمي حي الموردة بهذا الاسم لورود الاخشاب والبضائع اليه من الجنوب والشمال.

واستميح القاريء عذراً في ان اصف كل أوجه الحياة في المدينة وان ادلف به لجانب

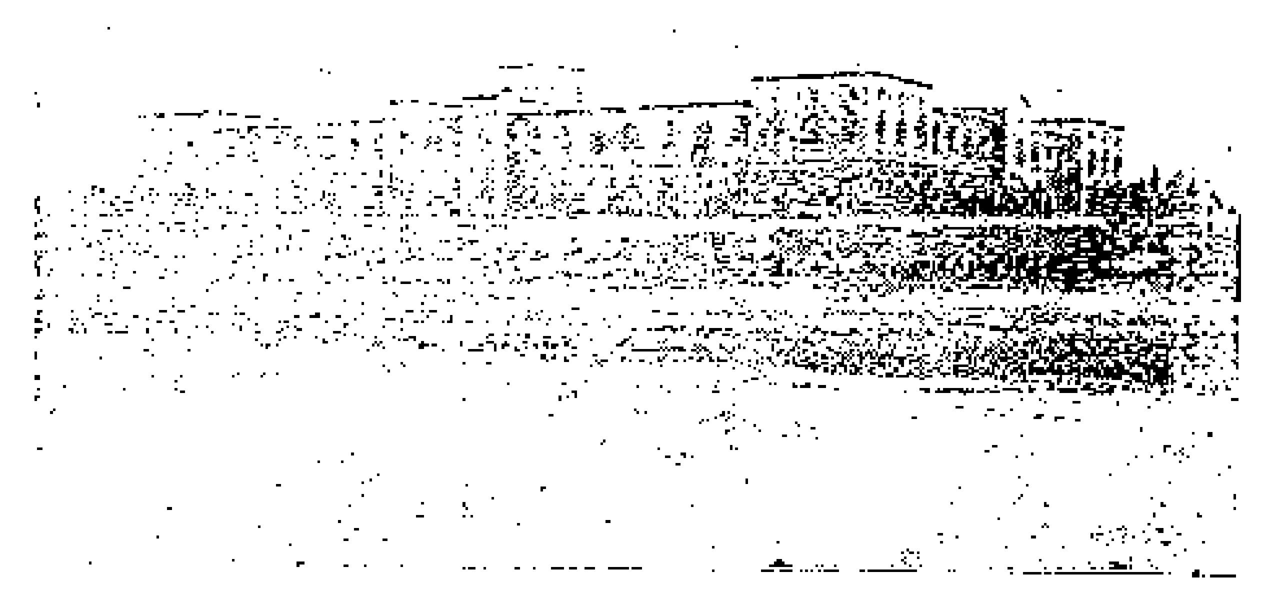
اخر يمثل جزءاً من التراث الشعبي الا وهو دنيا الانادي [الانداية] وهي اماكن بيع «المريسة» اذ كان العامة يلجأون الى الانادي ولم يكن للانادي مكان محدد وانما كانت تتوسط الاحياء وتنتشر بينها وكانت تميز بالبيارق ولكل انداية شيخة [صاحبتها] وشيخة الانداية هي التي تحدد لون البيرق على مزاجها والانداية منقولة من شبيهتها محالات (البب) بانجلترا اى الاندية الليلية التي تنتشر في كل حي هناك.

أحياناً يحل بالانداية احد الوجهاء فيتولى اصدقائه إكرامه وذلك بانزال البيرق ويعني ذلك ان الانداية قد دفع سعر ما فيها من مريسة. ودائماً يعني البيرق ان العمل بالانداية مستمر وانزاله يعني نفاد المعروض من المشروبات اى [المريسة].

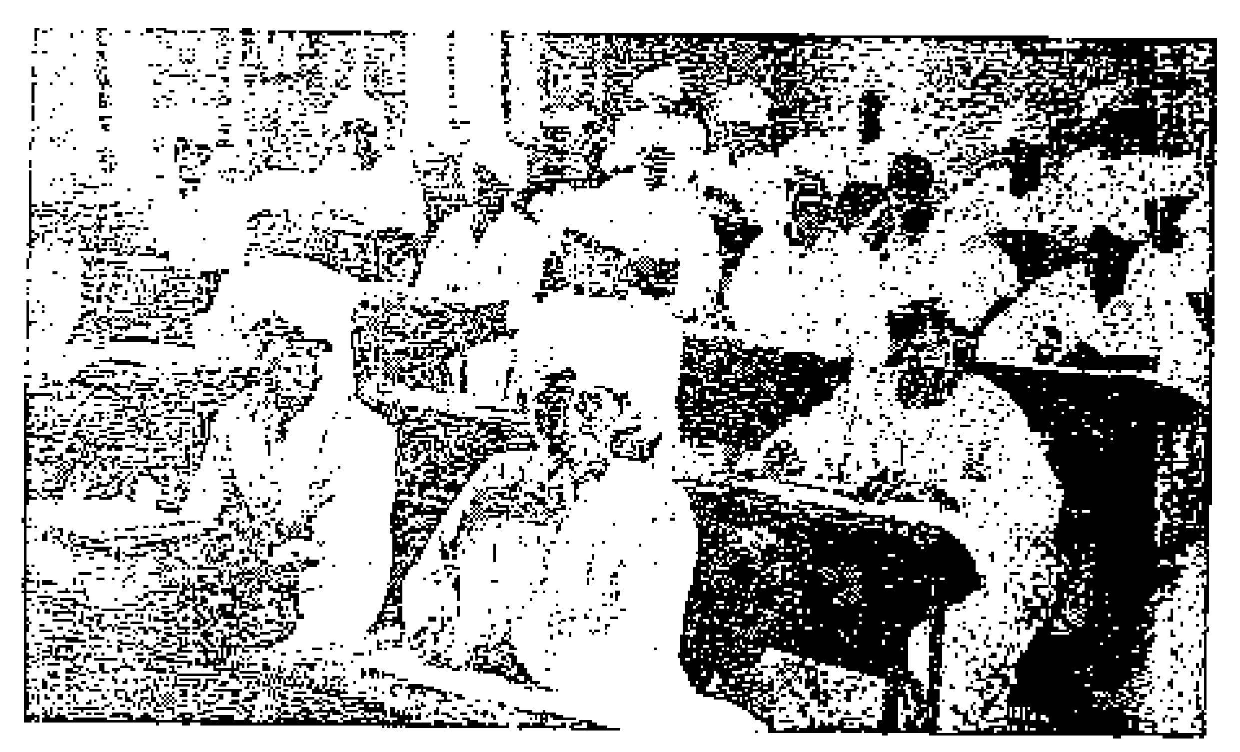
أما الموظفون ورجال القوات النظامية والاطباء وهم قلة فيلتقون في الاندية السودانية مثل نادي الخريجين وغيره وأندية الجاليات مثل النادي السوري والمصري والنادي اللبناني كان حينئذ على راس اطباء مستشفيات العاصمة المثلثة اطباء سوريون ومصريون.

اما في الصفين من المنازل كان يسكن فيها قريب الدكتور على خير من الرعيل الاول لكلية الطب السودانية ويسكن بجانبه اشقاء والدتي عبدالله سليمان وعبدالقادر سليمان وكانو يعملون بالقضائية حجاب محاكم والجزء الاخير يسكن فيه رجل عجوز في سن المعاش واظنه كان من ضمن الفراشين والمراسلات وكان لا يعمل شيء له ابن اسمه عثمان احمد فقير وبنت اسمها فاطمة فقير وكان يطالب بارض الحقانية او الارض التي تقوم عليها القضائية الان ملكا لابيه وكانت هذه الحاره محاطه بسوق العيش والبلح ويسمون بالعياشه او التماره وهناك الترام الكهربائي وفي نفس المكان سوق الحدادين والحلاقين للصنفين البني ادمين والدواب كانت حلاقة الحمير جميلة جدا لان حلاقي الحمير كانوا يتفننون في رسم الزخارف بالمقص الكبير.

في بداية تجربتي كهاوي لعزف العود والغناء ذاع صيتي في حينا ثم طلبة الابتدائي وكلية غردون التذكارية وطلبة كلية كتشنر الطبيه. حيث احتدمت المنافسة بين طلبة كلية غردون وكلية كتشنر في الاستئثار بي وايضا روسائهم وهم د. ابراهيم المغربي، ناظر جراحه تحت كبير الجراحين د. مين ود. عبدالحليم محمد ناظر الطب تحت د. همفرس. كبير الاطباء ومدير المستشفى. ود. علي بدري حكيم باشي المستشفى والشيخ الطيب مدير معمل المستشفى.



كلية غردون التذكارية



طلبة كلية غردون

فكـر د. ابـراهيم المغربى فى فكرة جهنمية لأكون بجوارهم بان يقدم لى عملاً يناسب مؤهلاتى فتم استدعائى لمكتب باش كاتب المعمل حسين فخرى حيث تحدث معى باللغة العربية والانجليزيه فاذا به امتحان خفيف جدا فاجانى بعده باننى قد قبلت كطالب بمعهد التحاليل الطبية (استاك) بمبلغ ١٥٠ قرش حيث ارسلت فور تخرجى كمساعد معمل تحت الشيخ الطيب.

وكانت فكره عظيمه جدا من د. المغربى حيث تحصلت بها على وظيفة حكوميه قل ان يحصل عليها طالب بهذه السهولة فشكرته جدا حينها ولا زلت ارفع قبعتى تحية واجلالا لشخصة العظيم. بعد ٤٠ عام،

والمنزل مكون من غرفتين وحمام وحوش صغير. وبعد ان استقريت وعرفت المرحوم محمد ابو راس باشكاتب المستشفى الذى سهرنا فى منزله وطربنا الى الساعات الاولى من صباح اليوم الثانى . . وذهبت فى الصباح الباكر الى المستشفى لكى استلم العمل ومريت على كل الاماكن بالمستشفى للتعرف على الاخوة والزملاء وبعد عشرة ايام وصل الدكتور محمود على حمدى ليسلم الدكتور عبدالحليم وينتهى التسليم والتسلم فى ظرف سبع ايام ولكن هذه المرة استمر خمسة عشر يوما والسبب وجودى وعودى وصوتى واحتفالا بالسلف والخلف. وقضيت اجمل وامتع ايام حياتى الصبيانيه سواء ان كان فى اثناء العمل او اوقات الفراغ . وانتهت مدة المأمورية وودعت بمثل ما استقبلت به وزودونى باشياء كثيره الى مدينة سنجه وكانت لا تبعد كثيرا عن مدينة سنار وحصل نفس الاستقبال وكانت مدينة سنجه أيضا بالنسبة لى كاختها مدينة سنار. وتعرفت على عوائل كثيرة اذكر منها أسرة الخويرص (على وسليمان وعثمان) ورجعت للخرطوم وانا فى منتهى السعادة ووجدت الخرطوم حصل بها بعض التغيير حيث ازدهر الفن وليالى الافراح والليالى الملاح . . وانتظرتنى مفاجأة وهى انى التقيت بفتاة جميلة جدا ومن اجمل بنات جيلها وعرفت انها من بلد أبى رفاعه (قرية ابوشام) وحببتها وحبتنى كثيرا وعرفت كل ظروفها واثناء هذه اللقاءات ازداد حبى لها وملك على كل مشاعرى وفى غمرة هذه السعادة إفاجأ بمدير المعمل شخصيا يدعونى لمكتبه ويأمرنى بان اذهب لمدينة حلفا التوفيقيه لاعمل هناك فى مأمورية مع الدكتور محمد أحمد على الله يرحمه وهو من نفس المنطقه وكانت مهمتنا جميعا بالمستشفى هى محاربة مرض الحمى الراجعه والتايفود الوافدين الينا من مصر وكانت الحمى فى مصر بشكل وبائى وكانت الايام ايام حرب وكانت كل الجيوش العابرة فى طريقها الى شمال افريقيا عبر الصحراء تمر بوادى حلفا وكنا نعمل لها اللازم من حيث الفحوصات والتطعيم والحرب على اشدها وفجأة سمعنا ان تونس قد تحررت حيث كانت قد سقطت فى أيدى المحور من قبل . وطبعا كنا نحن مستعمرين والبلد مليانه انجليز ومصريين وفرح الانجليز واحتفلت كل بلاد السودان بهذا اليوم وحلفا بالذات لان كان فيها مدير المديريه الادارى وقائد الحاميه العسكرى ومدير المصلحة الطبيه د. بريدى ومدير السكه الحديد مستر جكوبس ومدير مكتب السكه حديد الاخ عوض على وهو موجود الان ويسكن بحرى . واصر مستر جكوبس على عمل حفل كبير تشترك فيه كل فئات الحكومه والشعب وكانت كل حلفا تعرف ان هناك فى المستشفى

شاب يعمل فحيص بالمعمل وهو فنان يغني ويعزف على العود ومن اوائل الذين تغنوا بالاذاعـه وحتى كبار الانجليز يعرفون هذا . وفكر المستر (جاكوبس) ان يدعوني لاغني في الحفل الكبير المقام على ظهر باخرة نيلية وعمل تلفون سريع للدكتور محمد أحمد علي لابلاغي هذا الامر بصفته مديري ورئيسي وفرحت جدا بعد ان علمت من الدكتور هذا الخبر واني ساغني أولا في حفل كبير جدا ولمناسبة هامة وتاريخيه وقلت للدكتور محمد أحمد علي ارجو ان لا ترفض هذا الطلب فقال لي الدكتور (ارفض ازاي دا انا حاعمل ليك هيصه كبيره في هذه الحكايه لانه تعرف يا حسن أفندي واحد زيك مطرب وعازف في الاذاعه ، لو في لندن مثلا في يوم زي اليوم دا يدفعوا ليه مائة جنيه . تعـرف مائـة جنيه يعني ايه؟ يعني انت حتكـون من أحد اغنياء حلفا ما بين يوم وليلة) . وقمت وقعدت وضربت معي لخمه شديده جدا وتحركت مجهودات الدكتور واتصل تلفونيا بمدير السكه حديد المستر جكوبس واتفق معه انه سينقل الفنان الى مكان الحفل متبرعاً بعربته ، من المستشفى الى مكان الحفل لكن المستر جاكوبس قال لدكتور محمد احمد علي انهم سينقلون الفنان بترولي بعد مد خط فرعي من خط السكه الحديد الرئيسي المار من امام المستشفى وسنمنحه هدية رفيعة المستوى وفعلا عمل الخط .

وفي اليوم المحدد وصلت عربة الترولي المعروفة بالسكة حديد وبها مدير مكتب السكة حديد السوداني (عوض علي) واستقبلني انا وعودي وركبت ركبه ملوكيه وانا في قمة السعادة ووصلت مكان الحفل واستقبلت بالزغاريد والتصفيق من كل الجموع المحتشدة على شاطىء النيل وأحييت الحفل بصورة رائعة وودعت بمثل ما استقبلت والغريب في الموضوع ان المدير «طنش» من حكاية الهدية الرفيعه واكتفى بعملية نقلي بالترولي ودي كانت حكاية كبيرة والغريب حقا ان هذا الخط الحديدي الفرعي كان ممتداً الى داخل المستشفى الى ان غمرته مياه السد العالي! .

العودة الى الخرطوم

بعد ان عدت من تلك المامورية الثلاثة الى الخرطوم حينها كانت اذاعة امدرمان في بداية تأسيسها وتبث ارسالها يوم الخميس من كل اسبوع لمدة ربع ساعة تبدأ في

السـادسـة مساء لتنتهى فى السادسة والربع وكانت براجحها خمسة دقائق قرآن كريم وخمسة أو عشرة دقائق اخبار ثم اغنية وطنية من الحاج محمد احمد سرور.

صاحب فكرة الاذاعة واول من قال هنا امدرمان السيد حسين طه زكى اتصل بى وفاوضنى للغناء بالاذاعة على ان يزيد من زمن البث ليصبح نصف الساعة ومرتين فى الاسبوع. لكن تقاليد وعادات اسرتى وتمسكها كانت عائقا فى طريقى الى الاذاعة.

فقد كانت نظرة المجتمع للمغنيين نظرة ظالمة وكانوا يسمونهم «صعاليك» وذلك لان مغنى تلك الايام يعيشـون على المناسبات ويقضون مع العريس اربعين يوما كاملة هى فترة الزواج وما يسبقه من «خطوبة» (ودق الشلوفة» وقولة خير «ودق الريحة» وقيدومة العريس «ومشاط العروس» «وقطع الرحط» و«الحنة» و(الدلكة» و[الدخلة] و«فك الحزام» و«السبوع» و«الخمستاشر» و«الاربعين» وكل هذه العادات يشارك فيها المطربون الذين سبقوا المطربون القبلنا وقد تركت تلك المشاركة انطباعا سيئا لدى المجتمع.

ولكننى تغلبت على هذه المشكلة واقنعت اسرتى بأننى لا يمكن ان اصبح مثل اولئك «الصياع» فانا موظف اعمل بالحكومة ولا وقت لدى وعملى يحتاج الى صفاء الذهن ومهمتى ان اشخص نوع المرض ليحدد الطبيب العلاج واى اخفاق قد يؤدى بحياة انسان وهذا مالا ارضاه ولا اقبله.

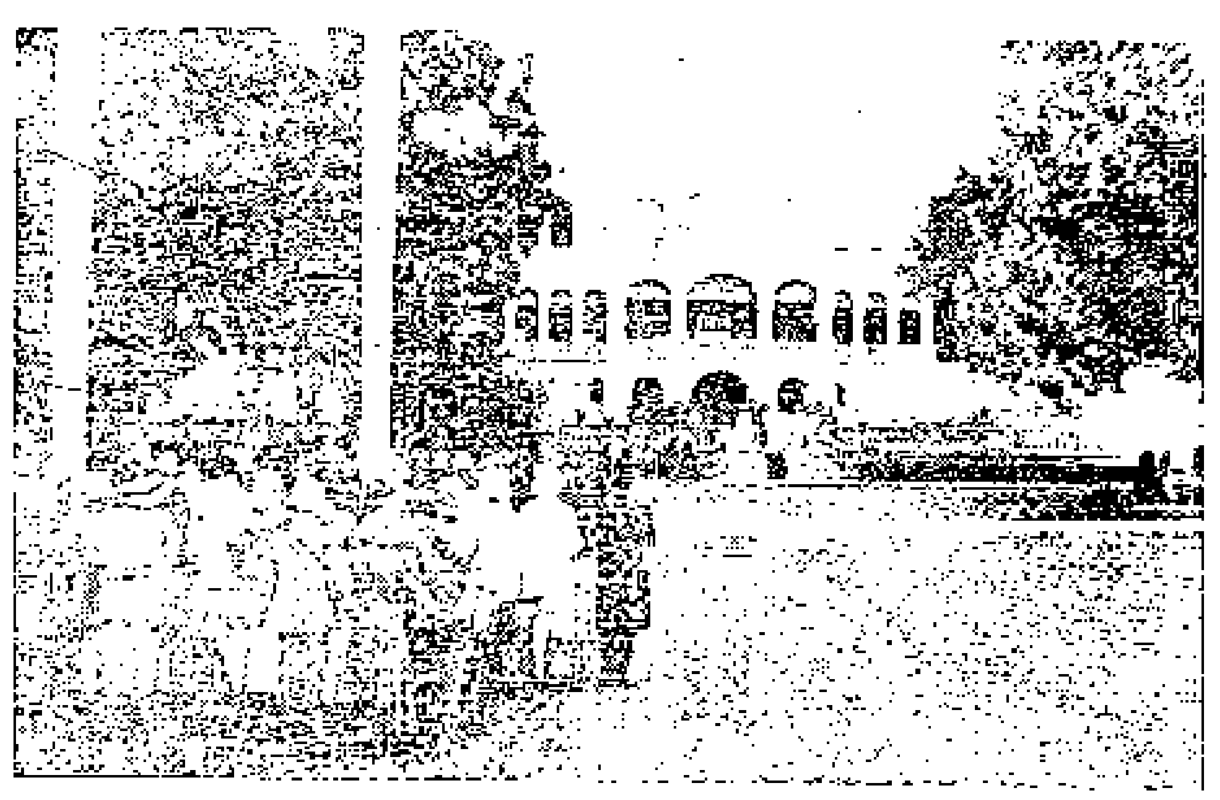
فى ناحية ثانية نشب نزاع حاد تزعمه دكتور هورجان مدير المعمل من ناحية وفى الناحية الاخرى مستر آزبر مدير مكتب الاتصال العام وكان الاول يريدنى ان استمر فى عملى بالمعمل بينما يرى الاخير ان اكون مطربا متفرغا وحسمت الامر من جانبى وقررت مواصلة عملى كفنى بالمستشفى وادى ذلك لمكاتبات بين المعمل والمخابرات «مكتب الاتصال العام» انتهت بكلمات مدير المخابرات لمدير المعمل يذكره بأن حرب الامبراطورية يجب ان تحترم وجاء فى حديثه «ان هذا الشاب حينما يغنى فى الاذاعة سيكون مثل السكر بعد تناول الدواء» كانت هذه كلمات مدير المخابرات والذى ظل يصر على وجودى فى الاذاعة . . وانتهت المشكلة بأن اغنى فى الاذاعة.

تهيبت الموقف عندما علمت انى ساغنى فى الاذاعة لوحدى وما كانت الاذاعة حينها الا غرفة ضيقة لا تزيد مساحتها عن ٦ امتار مربعة تجاورها غرفة مشابهة لها تفصل بينهما نافذة زجاجية وكانت الاولى استديو والثانية محطة ارسال كل ذلك فى بوستة امدرمان القديمة. تهيبنى من الغناء فى تلك الحجرة خلق ازمة جديدة ففكر

الاستاذ حسين طه زكي في مخرج لي من هذه الازمة وقال لي تجرب هذه اللعبة وان لم تعجبك سنحاول طريقة اخرى واتفقنا على اللقاء في وقت آخر.

كان الرجل ذكيا جدا ففكر في القيام برحلة سريعة في امدرمان بمنطقة الدباغة على شاطيء النيل بالقرب من منزل احد اصدقائه وذهبت للرحلة وكأنها رحلة عادية فلما ذهبت الى مكانها اذكر انه كان يحمل قائمة باسماء الاخوة المشتركين في الرحلة ومن ضمنهم فوزي حسون والشاب رمزي كيلاني وشقيقه كيلاني عبد القادر والشاب القاضي المرحوم عبد الرحيم ادريس.

حدث ذلك في يوم جمعة واستمتعنا بقضاء وقت جميل اكلنا وشربنا وطربنا وبعد ان استبد بنا الطرب والشمس تدنو للافول توقف الغناء وبدأت مناقشة كنت محورها وكانت عن غنائي بالاذاعة واخيرا قبلت الغناء في الاذاعة لان اليوم يوم جمعة ولعلمي



القصر يوم رفع العلم

ان الاذاعة لا تبث ارسالها فوافق حسين وقال لي «ولا يهمك سنرى الامر بعد نصف ساعة» فركبوا العربة الملاكي .الوحيدة وهي ملك الاخ رمزي كيلاني وانطلقوا بها للخرطوم وقابلوا المستر اوبر مدير المخابرات الذي كان على علم تام بما يجري في ذلك اليوم منذ بدايته وقالوا له ان حسن عطية قبل ان يغني بالاذاعة وهو معنا الآن وقد نفذنا كل ما يرضيه وهو جاهز فهل تأذن لنا بفتح الاذاعة ليغني حفلا كاملا من ثلاث اغنيات . فوافق المدير على الفور وامر بفتح الاذاعة وذهبت مع تلك المجموعة باكملها وكان فوزي حسون، ورمزي كيلاني من الاصوات الجميلة التي صحبتني بالغناء (كورس).

كانت محطة الاستقبال واحدة ولا توجد غيرها في السودان وهي الميدان الفسيح الكائن امام البوسته .وهي عبارة عن صندوق مغلق على اربعة ارجل خشبية طويلة وكان المستمعون يلتفون حولها بالميدان لسماع اخبار الحرب والحفل الغنائي.

دخلت تلك الحجرة الضيقة التي وصفتها وغنيت ثلاث اغنيات هي بالترتيب انا سهران يا ليل .. ثم خداري واخيرا هات لينا صباح . . وكانت تنتظرني مفاجأة ما خطرت لي على بال ولم احسب لها حساب عند خروجي من الغرفة الاذاعية في نهاية الحفل الى الشارع فقد هجمت على اعداد هائلة من الجماهير وكنت ارتدي يومها قميصاً ابيض و[شورت] كاكي وشراب بلون الشورت وحذاء [باتا] كاكي ايضاً وكانت هذه اللبسة تسمى ماتشنق، حملتني تلك الجماهير على الاعناق وبدا بعضهم يمزق قميصي ويحملونه مناديل للذكرى وتدخل الاستاذ ادوارد بك عطية نائب مدير الامن وهو لبناني الجنسية وكان قد حضر لمراقبة الموقف فتدخل واستدعى بوليس نقطة المحط الوسطى وانقذوني من اولئك المعجبين الذين كان همهم الاحتفاظ بمناديل من ملابس الفنان الشاب الذي تغنى لاول مرة من اذاعة امدرمان ولاول مرة يغني بالعود وكان شيئاً جديداً بالنسبة لهم وقد لطف الله بالعود لان واحداً من ضباط الشرطة خطفه وادخله عربة الشرطة وبعد جهد جهيد تفرقت تلك الجموع والتقيت باصحابي وكان نصفي الاعلى عارياً تماماً ولحسن حظي كان لي صديق طبيب بمستشفى امدرمان ويسكن بالقرب منها فذهبنا له جميعاً لنروي له ما حدث واستعرت منه قميصاً . وكان صديقي هو الدكتور المرحوم عثمان رحمي انيقاً جداً وقد فزت منه بقميص (جميص) يليق بمظهري كفنان وسهرنا معه تلك الليلة سهرة ممتعة تمنيت بعد ان عرفنا الات التسجيل لو انها كانت معروفة في ذلك الزمن لتنقلها لابناء هذا الجيل

بعد أربعين عاماً او أكثر.

فى صبيحة اليوم التالى لذلك الحفل ظهر عدد لاحدى الجرائد ويحمل على صدره تهنئة للاذاعة على اختيارها للمطرب الجديد صاحب الصوت الدافىء واشادت الصحيفة بصوتى ووصفته بلغة رقيقه وقبل ان تكتمل فرحتى بتلك الاشادة حتى نشرت الصحيفة نفسها وبعد يومين فقط مقالاً لشخصية كبيرة تصف غنائى بانه من الغناء المفسد للاخلاق وانه نوع من انواع (التمتم) الراقص فاثارنى ذلك وحملت الصحيفة وذهبت من توى لمدير الاذاعة وقلت له منفعلاً هل قرات هذا المقال؟ فأجاب بالايجاب. فقلت له ما رايك فيه وقبل ان يجيب على سؤالى اردفت انا لن اغنى بعد اليوم فى الاذاعة. وكان قرارى هذا لاننى لم اسمع نقداً قبله وكان اول نقد فى حياتى حولنى من غمرة الفرح الذى كنت اعيشه الى غضب شديد من ذلك النقد الموجه لى.

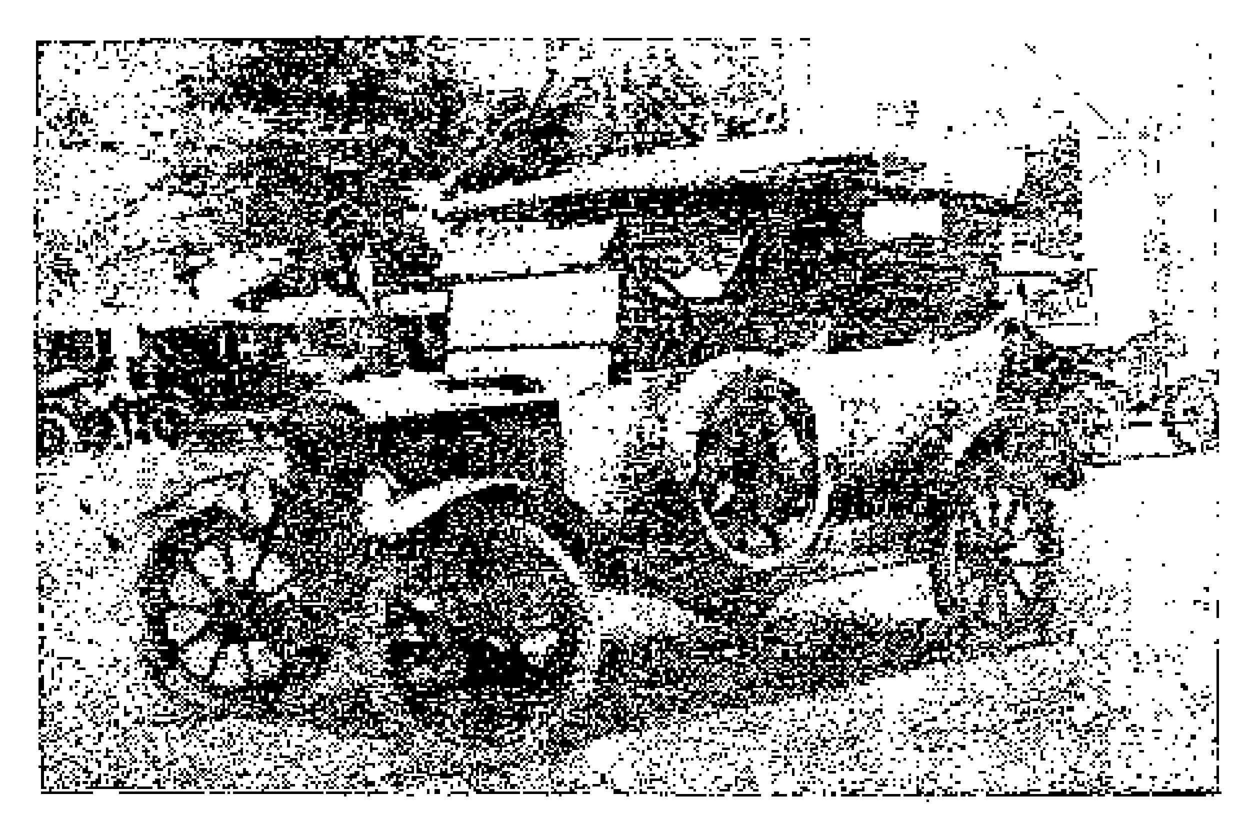
وبهدوء تام تحدث الى مدير الاذاعة وقال لى ان الرجل صاحب المقال لا يملك ان يوقف الاذاعة او المطرب لان هذا العمل لرفعة راية الامبراطورية ابان الحرب. فارتحت وهدأ بالى وواصلت مشوارى بالاذاعة.

ولكن قبل أن يتسنى لى ذلك وفى صباح احد الايام استدعانى مدير المعمل وطلب منى ان أسافر للدويم بالنيل الابيض وذلك لظهور ثلاثة أوبئة هى الملاريا والحمى الراجعة «التايفويد» والالتهاب السحائى فقد ظهرت هذه الاوبئة فى الدويم وما جاورها من قرى قلى وشبشة وكان ذلك إبّان الحرب العالمية الثانية.

كان قرار سفرى الى الدويم قائماً ففكرت فى تنفيذ رغبة رؤسائى فى عملى الدائم فطلبت اذناً من الاذاعة لمدة عشرين يوماً وبعدها سأواصل مشوارى معهم فوافقوا ورتبت نفسى وشددت الرحال الى مامورية جديدة بالدويم ووسيلة السفر فى ذلك الوقت هى وابور البحر (الباخرة النيليه) ومحطة قيامها بالمقرن مكان فندق الهيلتون الآن.

وكان فى ذلك المكان حى المقرن وسوقه المنتظم واذكر ان هناك عيادة بالحى وكان الترام يشق الحى فى طريقه الى ام درمان وذلك بعد تشييد كبرى النيل الابيض.

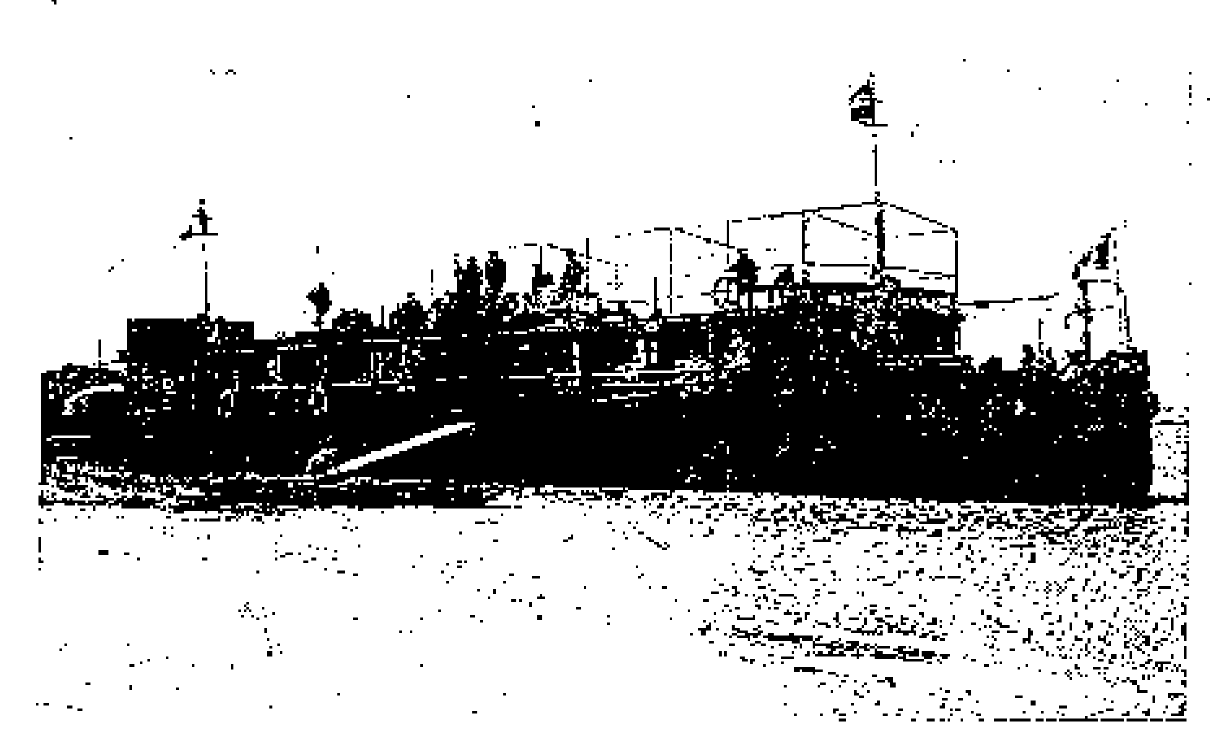
اعود مرة اخرى الى قصة سفرى الى الدويم فى ذلك اليوم حزمت حقائبى وركبت عربة اجرة «تاكسى» حوالى الخامسة مساء وكانت الباخرة تبدأ رحلتها فى الرابعة



التاكسي قديما

صباحاً بفتح الكبري بعد توقف الحركة والوابور أو الباخرة كانت من ثلاث درجات اولى وثانية والدَّكْ «ظهر السفينة».

وفي محطة الباخرة فوجئت بعدد كبير من اصدقائي واحبائي المعجبين جاؤا لوداعي وكانت لحظات رهيبة اذكر من حاضريها حسن سليمان الفنان الملقب بالهاوي واحمد أمام دون جوان الشلة الشاب الانيق الوسيم وحسن احمد حسين شقيق الدكتور حسين طبيب العيون المعروف وابن البكباشي احمد حسين صاحب السطوة والعظمة فهو من كبار الضباط العظام ورتبته بكباشي [مقدم] واذكر ايضا الصديق الاغريقي انستاسي ابن الست كاترينا المشهورة بتجارتها النسائية ولها شارع الآن باسمها بالخرطوم (٣) وقد سمي باسمها تسمية شعبية وكان انستاسي صاحب صوت عظيم وكان يغني بالاغريقي فيجيد، وبالمصري فيبدع وبالسوداني فيتجلى فقد كان سودانيا بالميلاد واغريقيا بالاصل.



السفر بالنيل قديماً

ومن بين المودعين كان هناك احمد عبد المجيد شجر الخيرى (رحمه الله) وهو حفيد العمدة محمد على كرم الله عمدة الخرطوم واحمد كان موظف بالمخازن والمهمات وكان «فتوة الشلة» .

ومن المودعين ايضا طالب الطب محمود حسين محمود والذى اصبح قائدا للسلاح الطبى برتبة اميرلاى . ومحى الدين تلب الموظف بالبوستة والتلغراف والذى صار اول مدون لاول برلمان سودانى وظل فى هذه الوظيفة الى ان قام مجلس الشعب وترك الخدمة بعد ان حاز على نوط الجدارة للخدمة الممتازة . وصالح ابراهيم العبد وكان محاسبا وصار اول مدير لبنك امدرمان الوطنى بعد ان رجع من هجرته لاثيوبيا وكان اول سودانى هاجر خارج البلاد طلباً للخبرة والعلم بعمل البنوك هناك

. . والاخوة ابناء العم عبد الرحمن الصائغ وابن اخيه العظيم عبد الرحمن وله نادرة لابد لى ان ارويها فهى عزيزة على نفسى عزة صاحبها الى. ففى حفل وداعى والذى كان قبل يومين لم يكن لديه ما يقدمه وما كان يملك شيئا ذا بال غير سنه الذهبية فما تردد فى مشاركتى بما يملك حيث ذهب الى العياده وخلع سنه وباعها فى سوق الصياغ بسبعين قرشا وقام بدفع مصاريف الحفل كله. أعود مرة اخرى للباخره وأصفها كانت الباخرة جميلة ونظيفة جدا وبحارتها كانوا يلبسون لونا واحدا هو لون البحاره اللون الازرق اما الكبائن (الغرف) كانت تحتوى على سرير حديد من سبسته ومرتبة من القطن الصاقى ومخدتين من ريش النعام ومروحة وتربيزه وكرسى داخل الغرفة تستعمل كسفره وتربيزة مكتب وحوض لغسيل الوجه وجرس لنداء الفراش اما الحمامات فلها جزء معين من البابور. ثم سطح الوابور ومقدمة الوابور مفروشه بكراسى تسمى بالدك جيرز ويجتمعون فيها كل ركاب الدرجه الاولى والثانية عند الوجبات يذهبون الى صالة السفرة العامة للدرجة الاولى والثانية عند الاكل للثلاثة وجبات وبالليل يسهرون فى سطح الوابور على هذه الكراسى الوثيرة ما طاب لهم من السهر حيث يلعبون الطاولة والضمنه والكتشينه ويزاولون كل انواع الترفيه.

جاء الى المحطة فى ذلك اليوم عدد كبير المودعين والمودعات من اسرتى وأهلى وأصدقائى من جيراننا ومعارفنا ومن بين اللائى حضرن لحظات الوداع تلك الفتاة التى وصفتها بأنها قد اثرت فى قصة حياتى وكانت تقف وسط المودعات وتلوح لى من على البعد.

لم تتحرك الباخرة فى مواعيدها وتأخرت حتى الساعة الرابعة صباح اليوم التالى انتظارا لفتح «الكبرى». كان تأثير تلك اللحظات بالغا على نفسى فدخلت غرفتى وانكفأت على السرير باكيا حتى دخلت فى اغماءة افقت منها عند فتح «الكبرى» لمرور الباخرة. كان الوقت حينذاك تباشير الصباح مازالت فى خدرها. . وماء النيل من حولنا والضفتان يلفهما سندس اخضر ونسمات الصبح العليلة تبعث فى النفس امل العودة واللقاء ودعت الخرطوم وكلى شوق اليها فهى مازالت امامى ولا استطيع الوصول اليها ثم فتح «الكبرى» ومرت الباخرة بسلام وكم هو جميل منظر فتح الكبرى والذى كنت اراه لاول مرة ثم زمجر صوت مكنات الباخرة مدويا وبدأنا رحلتنا الى الدويم وبعد قليل بدأت الخرطوم تغيب عن انظارنا رويدا رويدا حتى اندست وسط ذلك الثوب الاخضر.



كبرى النيل الابيض عند فتحه

بعد طلوع الشمس خرج الركاب الى سطح الباخرة وفوجئت ان من بينهم وفى الغرفة المجاورة لى عريس وعروس وكان هذا العريس المهندس حسن عتبانى وهو من مواطنى الخرطوم بحرى جلسنا جميعا على ظهر الباخرة وتناولنا وجبة الافطار وفى زمن وجيز كنا جميعا كأسرة واحدة نتسلى ونتجاذب اطراف الحديث وما ان جن الليل وضرب قبابه من حولنا حتى طلب منى العروسان لاغنى لهم فغنيت وسهرنا وشاركنا السهر ركاب الباخرة.

وبعد ان عدت الى غرفتى لم يعرف النوم الى جفنى سبيل واستمرت الرحلة ، كانت تقدم لنا وجبات فى الباخرة ولكن عندما تتوقف الباخرة فى اى محطة أو قرية كنا نتسابق لشراء الدجاج والبيض واللبن والخضار الطازج والفواكه من الباعة على الشاطىء واستمر الحال الى ان وصلنا خزان جبل اولياء وكان منظراً جميلا ولا استطيع كيف اوصف الباخرة فى ذلك الزمان فكانت غرفها جميلة منسقة ذات فرش ابيض ناصع ومخدات من ريش النعام وخدمة ممتازة من المسئولين من الوابور لم يوجد لها مثيل الان كلها وقفت الباخرة فى محطة ولثلاثة ايام بلياليها وصلنا اخيرا الى الدويم وكانت

المفاجأة.

وجدت كل ابناء العاصمة واصدقائي فى انتظار الباخرة تنادوا واتوا الى المحطة لاستقبالي وكان على رأسهم الاخ يس حاج الخضر علي كمير خريج كلية مشتهر الزراعية في مصر وابن سر تجار الخرطوم (وسر التجار) كلمة تطلق على اكبر تاجر سمعة وتجارة وصدق وامانة. كان يس جاري وابن حيي.. والدكتور عثمان ابو عكر طبيب المستشفى... ومحمد طاهر مفتش الصحة.. ومصطفى ابو زيده ناظر المستشفى.. والمرحوم حسن كافي باشمهندس الري... والمرحوم المهندس ابو العزائم عباس ابو الريش.. والمرحوم محمد عثمان يس نائب المأمور. والمرحوم الباقر السيد محمد ضابط الشرطة... والشاب الظريف المهذب الفنان اللطيف الجيلي الانصاري.

كان مقررا لي ان اسكن بالمستشفى ولكن كل هؤلاء الاخوة اصروا لكي اقيم معهم واخيرا استقر رأيي على اسكن مع المهندس ابوالعزائم ابو الريش وذلك لانه ابن حيي وكان في سني تقريبا.

سمعت في اول ليلة عند دخولي الدويم بينما نحن جلوس نغني ونمرح ويستبد بنا الطرب سمعت نائب المامور الشاب الباقر السيد يترنم بكلمات اغنية ليالي يا ليالي.. العوده تاني وهذه هي قصة الاغنية المشهورة ايام ماكنت لاهي ما بعرف الهموم.. لاني ماعرفت السعادة لي تدوم ويقول في الاغنية البتول ياناس حليله.. ويبكي الخ.

سألت عن البتول ومن تكون ولماذا يغني الباقر ويبكي فحكوا لي قصة حبه وقالوا انه قضى مأموريته في الدويم ووصفوا لي تلك الليالي التي قضاها بالدويم الجميلة. فسألت عن البتول مرة اخرى فقالوا انها فتاة يانعة فائقة الجمال غضة الشباب قل ان يجود بها الزمان بمثلها وسألت اين هي الان؟ هل تزوجت.. ام رحلت؟ وعلمت انها بالدويم ولكن صاحبنا منقول الى الخرطوم ويغني لاخر ايامه في المدينه.
وقد اصاب حديثهم ووصفهم للبتول مكانا في نفسي فبدأت أسأل عن مكان البتول هذه وكانت دهشتي عظيمة حينما قالوا لي انها تعمل معي وسألتهم معي انا؟ فاجابوا بالايجاب واضاف احدهم انها تعمل بالمستشفى بعنبر الحريم اطربني ذلك الحديث فبت في تشوق لرؤية تلك الشخصية وطلبت اليه في تلك الجلسة ان يكتب لي القصيدة كاملة لاغنيتها له فطار فرحا وامسك بقلم وورقة وكتب القصيدة باصابع

مرتجفة .

وضعت الاغنية امامي على فانوس الجاز الكبير وكان لهذا الفانوس قصة طريفة كان شريط الفانوس غير مستقر يعلو وينخفض فتارة نرى وتارة نعيش في الظلام لم تكن الكهرباء قد دخلت الدويم . على ذلك الحال غنيت الاغنية كما كان يؤديها وكان هو يعتمد على غطاء زجاجات الليموناده في ايقاعة فيضربه على جانبي المقعد فيصدر ايقاعا جميلا .

قضينا تلك الليلة مع طيف البتول واغنية البتول فزادت ليلتنا بهجة حتى لم يرى جفني المنام في تلك الليلة واستيقظت مبكرا على غير عادتي ومضيت أنتظر الساعة السادسة بتحرق وشوق لكي ارتدى ملابسي واكون في المستشفى في السابعة ميعاد العمل وصلت الى مكتبي وذهبت توا الى مكاتب رؤسائي وزملائي للتحية ثم ذهبت الى عنبر الحريم وسألت اول مريضة في العنبر عن البتول فأشارت لي على مكانها بجانب مريضة اخرى وكانت تقوم بتغيير فرش المريضة ذهبت تجاهها ووقفت امامها محييا فردت التحية فعرفتها بنفسي بطريقتها النسائية ردت على قائلة اهو ده انت فاجبت بالايجاب ولا اذكر تلك الاجابة غير انني مازلت اذكر ما اعتراني في تلك اللحظة فقد وقفت واجما للحظة حسبتها دهرا وسمعت بعدها كلمة «شرفت» ان شاء الله تقضي معانا ايام حلوة .

ظهرت ثاني يوم بنادي الموظفين وكنت موضع حفاوة من الجميع . . الكل يريد ان يحدثني والكل يريدني ان اجلس الى جواره . . وانهالت على الطلبات والدعوات . . . ولماذا لا تنزل على الطلبات وانا احمل سر الحياة العود والصوت الجميل وأول مرة يصل الى الدويم فنان يحمل العود .

بدأت عملي بالمستشفى بعد الاجراءات الروتينية والتسليم والتسلم وبعد أن باشرت عملي لايام اقاموا لي حفلاً بالنادي غنيت فيها فطارت شهرتي بعدها الى القرى والمدن المجاورة واهتزت اسلاك التلفونات تحمل ذلك النبأ الى كوستي وغيرها . . وكما يحدث في كل الاقاليم نشب النزاع بين المركز والمستشفى فاحتكرني الاطباء واثار ذلك البقية ولكنني استطعت ان اتغلب على ما تسبب لي من مشاكل واحتويتها بحجة ان موظفي المراكز هم اصدقائي وابناء بلدي ولكن كانت كفة المستشفى هي لارجح دائما .

ولم انج من كل المشاكل فقد كان مكتبي الى جانب المرضى يعج بالمعجبين الذين

يأتون لرؤيتي والتعرف علي . . اخترت شلتي من الدكتور عثمان ابوعكر طبيب المستشفى والاخ يسن حاج الخضر وعلى طاهر مفتش الصحة والجيلي الانصاري وكنا نسهر سويا يوميا ولا فرق بين رئيس ومرؤوس فقد كان المفتش الطبي يرأسنا جميعا ومسئول عن مستشفيات المديرية وكان الدكتور الفاضل البشري ونائبه حكيمباشي المستشفى الدكتور حبيب نراهما في بعض المناسبات .

سافر صاحبنا الباقر وهو يغني البتول يا ناس حليلة الي لحظة قيامه متجها الى الخرطوم وكنا في وداعة بالمحطة فكان يلوح لنا بمنديله الابيض ونلوح له الى اختفت الباخرة عن عيوننا في الافق البعيد عدنا بعدها وغادت الحياة كما كانت وترتبت حياتي الجديدة وزاد فيها حب جديد لم ينسني ذلك الحب الذي لقيته في الخرطوم ولكنه اخذ حيزا في حياتي وكان لكل واحد في الشلة حب في حياته بعيدا عنه الا انا فقد فزت بقرب عشيقتي وكان هذا سر سعادتي .

كان الاخ يسن قد قضى فترة كبيرة في الدويم قبل مجيئي وبعد ان جئت ارتاح بوجودي فلما قرب موعد انتهاء ماموريتي بدأ يحس بالضيق ويحكي لي عن سجنه الذي سيكون فيه بعد رحيلي وكان يغني كل صباح ونحن في طريقنا للعمل اغنيه من تأليفه ويقول فيها «الدويم انا ما لقيت لي منك مرقه . . لا بي حرقة لا بي غرقه».

وكان في هذا الجو يعاني آلام الغربة وما يلاقيه بعد سفري ولكنه فوجيء بتلغراف يخطره بنقله لرانقو بجنوب السودان فجن جنونه وسافر الى الخرطوم بعد ان قدم استقالته . وقبل سفره اتفقنا ان نلتقي في مقهى الحلواني بالخرطوم واخبرته بانني قد مللت العمل في الحكومه وسأقدم استقالتي قبل لقائه .

قضيت بقيت ايامي بالدويم مع بقية الاخوة ومع البتول فسارت الحياة على منوالها الى ان انقضت ايامي بالدويم وعندما هممت بالعودة قررت الرجوع عن طريق كوستي لزيارة صديقي الطبيب البيطري ابراهيم خليل التي كانت كوستي اول حياته العملية والذي اخبرته هاتفيا بمواعيد زيارتي وكانت فرصة لي لاشاهد مدينة كوستي لاول مرة وكان السفر اليها باللواري وتستغرق الرحلة حوالي السبعة ساعات . حجزت في العربة اللوري ولا اذكر الآن اسم صاحبها ولكن كانت البتول على علم بمواعيد سفر العربة .

اخذت مكاني في العربة مبكرا ودارت في مخيلتي اشياء كثيرة اولها شريط الذكريات العطرة وليالي الدويم وقضية سفري دون اذن وحبي الجديد وفي غمرة هذا الخضم من

الذكريات حانت مني التفاته فاذا بالبتول تقف امامي وتقول لي «جئت لوداعك مش لحد هنا لا سأقدمك الى كوستي . اديني عقلك ايها القاري الكريم انها لحظة لا تنسى وبعد برهة جمعت فيها ما تبقى لي من قوتي التي هدها هول المفاجأة وسألتها بكلمة كانت تستخدمها في مخاطبتي وهي كلمة «ياأنت» سألتها بتتكلمي جد يا انت؟ فردت [أي بتكلم جد يا أنت] ولعلها كانت حينما تناديني بهذه الكلمة ما كانت تعلم ان هذا التعبير الجميل قبس من مطلع قصيدة الشاعر الفحل محمد سعيد العباسي «رحمه الله» والتي يقول فيها :

كانت تنادي وتحكي البدر مبتسما

يا انت ياذا وعمدا لا تسميني

جن جنوني حينما ركبت بجانبي وانقضت الساعات السبعة [زمن الرحلة] وكانها دقائق سبع لم أرى خلالها غير وجه البتول وحينما لاحت مدينة كوستي لناظري تمنيت لو انها تباعدت .

وصلنا لكوستي وكان صديقي الدكتور في انتظاري ومعة عدد من اصدقائه واول كلمة بعد السلام قال لي بعد ان انتحى بي جانبا من اين هذه القنبلة؟ فقلت له هذه ضيفة من الخرطوم اتت في اجازة لزيارة أهلها بكوستي ركبت معنا بالصدفة ، ودعتها وداعا حارا وذهبت الى اهلها . وذهبت أنا مع بقية الاخوة الى منزل الدكتور وقضينا ليلة مع أولئك النفر انتهت بطلوع الشمس .

في صباح اليوم التالي شددت الرحال الى الخرطوم ووصلتها وذهبت الى منزلي أغالب النوم فيغلبني تارة وبعد ان تبادلت التحايا مع أهل بيتي ذهبت طوالى غرفتي واستغرقت في نوم عميق انساني مشقة السفر وعناء الايام الفائته ، وصحوت في اليوم التالي ولا يشغلني شاغل غير رؤية فتاة أحلامي فذهبت اليها بمنزل اهلها بالخرطوم وقضيت عندها النهار بطوله وجزء من الليل امتع نفسي بالحديث اليها وابلل شوقي برؤيتها وانقضى ذلك اليوم وكأنه برهة عدت بعدها الى منزلي وتهيأت لاستقبال يوم جديد قررت أن يكون يوما لتنفيذ ما قررته .

صحوت مبكرا في ذلك اليوم وارتديت ملابسي الرسمية وذهبت الى المستشفى وهناك دخلت على صديقي الباشكاتب المرحوم حسين فخري ووجدت عنده صديقي المرحوم محجوب عبد القادر المنشاوي وهو صديق دراسة وكان يعمل كاتبا بالمعمل القيت عليهم التحية فقابلوني بالترحاب وبادرني الاخ حسين سائلا برضك مصر على

السفر؟ فأجبته قائلاً؟ لا يا فندم انا دلوقت جاي مصر على تقديم استقالتي واردف يسألني باندهاش «ماذا تقول»؟ فرديت بأدب والحسرة تملأ قلبي كما سمعت. فقاطعني سائلاً سمعت ايه؟؟ واستقالة ايه؟؟ ايه الحصل في آخر رحله؟ قلت حصل كل خير وجميل وقد قضيت عشرين يوما وانا احلم حلما جميلا تمنيت لو انني لم اصحو منه ولما حدث وصحوت قررت الا أسافر مرة اخرى لكي لا أعيش حياتي كلها احلام. ويكفى انى قضيت خمسة أشهر كاد قلبي ان يتحطم فيها.

دار بيننا جدل طويل ولم ينته الى شيء ذهبت بعده لمقابلة المدير الانجليزى مستر هورقن ودخلت عليه وحكيت له موضوعي وهو متكىء على كرسيه الوثير الفاخر وبمجرد ان انتهيت حتى تحرك بكرسيه الى الوراء وقال لى: حسن أفندى انت ما تعرف نحن فى حرب وممنوع الاستقالات وده فى القانون ده اسمه تمرد عن العمل وعقوبته ستة شهور سجن. قلت له لا يهمنى ذلك وسأقضى ستة شهور بالسجن قال انت مجنون يازول.

رددت عليه: انا عاقل وكويس بس فقدت الرغبة فى العمل وبمجرد سماعه لجملتي توقف الخواجة عن المناقشة لخطورة مما قلت فكوني فقدت الرغبة يعنى ذلك كثيرا بالنسبة لنوع العمل الذى أوديه وخاصة ان عملي يتعلق بحياة الناس وعلى الرغم من انني قلت تلك الكلمة لمجرد التخلص من الحكومة.

وتريث المدير قليلاً ثم قال: [خذ اجازة يا حسن أفندى لمدة اسبوع وتعال نشوف وعدت بعد ان انقضى الاسبوع وانا أكثر اصرارا على الاستقالة فما كان منه الا ان قبل استقالتي ونظرا الى ما كنت اتمتع به من حب بين اسرة المعمل كزميل وفنان فقد تجمع زملائي كلهم ساعة خروجي من المعمل وحانت مني التفاته فوجدت كل اسرة المعمل والمدير بينهم ينظرون لى فى حسرة لوحت لهم بيدى مودعا وخرجت من عتبة الباب لادخل حياة جديدة «خالي شغل» كما كانت تسمى فى ذلك الوقت [الطيران] فكانت هذه الكلمة تطلق على الرجل خالي العمل ويسمى طائر - دخلت دنيا الطرب وحياة الليل اسهر الليل وانام النهار كنت اذهب فى أول المساء الى الاذاعة وبعدها الى المسرح او بيوت الافراح وكنت اتقاضى عشرة جنيهات مقابل الحفل أقسمها كالاتي. أربعة جنيهات لاعضاء الفرقة الموسيقية وجنيه للمواصلات وخمسة جنيهات من نصيبي واتقاضى خمسين قرشاً نظير الحفل الاذاعي والذى يبث ثلاث مرات فى الاسبوع.

تحدثت فى بداية مذكراتي عن (شلبي) والتي كانت من ابناء الحي واطلقنا عليها

اسم (نادي البرش) وكان مقر النادى امام منزل عضو الشلة أحمد امام الذى كان يقوم بفرش (البرش) لقلة الكراسي في ذلك الوقت وكنا نجتمع من السادسه مساء ونتسامر حتى العاشرة حيث تهدأ الحركة وتسكن المدينة وتقفل الحانات والمقاهي والمحلات التجارية وتخلو الشوارع الا من رجال الامن وعسكر الدورية وبوليس السوراى وكان من يقع في ايديهم بعد الحادية عشر يساق للحراسة بالمديرية ولن تشفع له غير هويته فإن ثبتت لهم اخلو سبيله وان لم تثبت هويته ادخلوه السجن الى اليوم التالى.

أعضاء نادى البرش كانوا جميعهم انداداً دون الثامنة عشر وكان في مقدمتهم المرحوم ابراهيم المفتى المحامي والذى أصبح وزيراً فيما بعد وطالب الطب محمود حسين الذى صار فيما بعد قائداً للسلاح الطبي والشاب الانيق الدكتور الصيدلي المرحوم على خيرى والذى كان يعمل مع الدكتور معلوف الذى ورد ذكره في غير هذا المكان والاخ المرحوم صالح ابراهيم العبد والذى صار اول مدير سوداني لبنك امدرمان وهو من أوائل عازفي العود والمرحوم موسى عبدالكريم الطالب بكلية الزراعة ومدير مصلحة الزراعة لاحقا، والاخ المرحوم محمد يوسف على اول ضابط مطافىء والذى تدرج الى ان وصل الى اعلى الرتب وذهب للمعاش. والفنان الهاوى حسن سليمان شقيق الاستاذ عبدالقادر سليمان استاذى ومعلمي العزف على العود، والشاب انستاسى ابن ست كاترينا كما اسلفت الاشارة اليه وطالب كلية غردون حسن احمد حسين ابن البكباشي احمد حسن الموظف بالجيش الانجليزى والصادق التجانى الذى صار من كبار التجار. والفاضل الشفيع، وقاسم محمد الامين صارا من كبار الاداريين، والاخ محى الدين تلب الذى اصبح كبير مدونى مجالس الشعب والاخ عبدالرحمن محجوب «الصائغ» «رحمه الله» واخيرا الاخ احمد عبدالله عطا الذى بلغ اعلى الرتب في الطيران المدنى.

كنا نجتمع نحتسي الليمون والشاى «المنعنع» وكانت هذه المشروبات تضفى جواً خاصاً على جلساتنا وتجذب أعضاء النادى فيحرصون على الحضور اليومى وللمصادفة كانت أصوات جميع أعضاء النادى في غاية الجمال وكانوا يضبطون الايقاع على برنيطة «قبعة» من الفلين. ان لنا اصدقاء لم يرد ذكرهم فهم يأتون الى النادى حسب ظروفهم منهم عسكرى (الكديت) الدكتور النور عبدالمجيد الذى صار كبير اخصائي امراض القلب والصدر بمستشفى الشعب وشقيقه الدكتور احمد عبدالمجيد الذى صار كبير اخصائى طب وجراحة الاسنان بمستشفى الخرطوم والاخ عبدالرحمن صغيرون التاجر

آول مدير لمحلات المعروضات المصرية والاخ عبد الماجد عوض الكريم من كبار الاداريين فى السودان كانت شلة الانس هذه تجتمع وتنفض لتجتمع فى يوم جديد الى ان فرقت بيننا الظروف وما انقطع حبل الود بيننا الى الآن.

الباب الرابع

الحرب العالمية

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وتم حفر الخنادق فى المدن الثلاثة وتطوع الشباب وانخرطوا فى جيش المتطوعين واذكر منهم المرحوم حمزة موسى والاخ المرحوم مصطفى خليل وموسى حسين وحملوا السلاح «والكرامة» ولاول مرة وصلت طائرات الايطاليين وقصفت الخرطوم وام درمان وسببت قلقاً شديداً وهلع بين المواطنين وظهرت اغانى الحرب مثل :

الله لى الليمون سقايته عشية

طيارة جات عصرية تضرب الخرطوم

ضربت حمار كلتوم ست اللبن

والمقصود بضرب الطائرة للحمار انها «اى الطائرة» لم تصب اهدافها ودخلت البلد فى حالة حرب فقفلت المدارس وبدأ صرف المؤن بالبطاقات وارتفعت الاسعار وظهر اثرياء الحرب واغانى الحرب وبنات الحرب. وتصدى الجيش السودانى للذود عن الحدود جنباً الى جنب مع جيش المستعمر الانجليزى ورابطت القوات فى كسلا والقضارف وبورتسودان وخشم القربة والقاش على ان يكونا على حدود اسمره وسافرت فرق اخرى لشمال افريقيا وكانت كل هذه البلاد خاضعة للاستعمار الانجليزى عدا شمال افريقيا وسمعنا لاول مرة صوت مستر تشرشل رئيس حكومة بريطانيا العظمى من المذياع ينادى المستعمرات البريطانية ويستنفرها للمشاركة فى الحرب الى جانبهم لينالوا الإستقلال اذا تم لهم النصر فكان ذلك حافزاً دفع بابناء السودان للتطوع وسافرت قوات دفاع السودان، وظهرت الاغانى تمجد جيش السودان وشبابه وتتمنى لهم النصر والعودة سالمين فظهرت اغنية «جاهل صغير وحمامه ودوه خشم القربة يا الله عودة سلامة

واغنية يجو عايدين بالمدرع والمسكيم . . وكان ضباطنا في ذلك الوقت الشبان احمد محمد باشا وابراهيم عبود واحمد عبدالله جامد واللواء عروة واللواء البحاري وحسن بشير واللواء طلعت فريد واللواء رضا فريد واللواء احمد عبدالوهاب واللواء الخواض واللواء المقبول وعبدالرحيم شنان واللواء محي الدين احمد عبدالله واليوزباشي حمزة بشير والعميد علي صالح سوار الذهب وحمزة بشير طمبل وعبدالرازق خير السيد ومحمد يوسف علي والعميد عبدالحميد خير السيد وعبد الرحمن حمدان واللواء الزين حسن الطيب الذي سأتحدث عنه في مكان آخر من هذه المذكرات واللواء احمد الشريف الحبيب والعميد ابوبكر فريد والاصدقاء يحي حسين وحمزة حسين ، رحم الله من مات منهم وامد في عمر من بقي .

فعندما علمت زوجتي بنداء مستر تشرشل للمستعمرات البريطانية فقد سألتني لماذا لا اتطوع؟ واردفت لقد سمعت ان لكل جيش من جيوش المحور فرقة موسيقية لترفه عن الجنود فلماذا لا تشكلوا فرقة موسيقية لجنودنا البواسل؟ . . وقعت جملتها على فاوحت لي بفكرة عظيمة قمت في التو لاشرع في تفيذها ذهبت للاخ حسين طه زكي لما له من مكانة في الاوساط الرسمية كرجل اعلامي واذاعي وطلبته ان يتوسط لي لاعمل في وظيفتي القديمة «فحيص» بالسلاح الطبي وقبل ان اكمل حديثي قاطعني

فقال : «اتعرف كلمة التي ترفه على جنود المحور قلت: لا قال: كلمة أ . ن . س . ا مختصرة من اربعة كلمات معناها فرق الترفية على الجنود في الميدان . بدءاً بكسلا وخشم القربة . كدت ان اطير من الفرح وسألته (متى يكون ذلك)؟ فرد علي الآن عدد من الفنانين منهم سرور وأحمد المصطفى ومحمد أحمد داكو والسر عبدالله سيقومون بهذه الرحلات وستكون انت من ضمنهم وسيسافر معك ابراهيم الكاشف ومحمد احمد داكو الى كسلا وخشم القربة ، وسرور واحمد المصطفى والسر عبدالله الى طرابلس على ان تتبادلوا المواقع حسب ظروف المناطق العسكرية .

وكان ان بدأنا رحلتنا الى شرق السودان وكانت رحلة الحرب دائرة وذهبنا الى كل المواقع المذكورة. استغرقت الرحلة عدة رحلات جلنا خلالها كل ميادين القتال نرفه عن جنودنا البواسل ونخفف عنهم الآلام الحربية وكانت رحلة محفوفة بالمخاطر فالحرب مستعرة جذوتها والموت اقرب الينا من حبل الوريد ويكفي خطأ صغير يؤدي بحياة

الواحد منا .

كانت رحلتنا الاولى والتي ضمت ابراهيم الكاشف وداكو وانا الى شرق السودان عن طريق السكه حديد بالقطار الملون بلون صحرواى لتضليل الاعداء سافرنا الى كسلا والقضارف وتنقلنا بين معسكرات الجيش في اسمرة وقضينا اياماً لازلت أذكرها ما دمنا نعيش فوق ظهر البسيطة . كانت اياماً حلوة برغم قساوتها . كانت الطائرات الايطالية تعبر العاصمة وتصل الى امدرمان وتعود فوق رؤسنا الى قواعدها . انقضت تلك الايام في شرقنا الحبيب وعدنا الى الخرطوم لتبدأ رحلة جديدة طويلة نسافر فيها الى شمال افريقيا ويصحبني الاخ الاستاذ أحمد المصطفى امد الله في عمره .

فتحركنا من الخرطوم الى القاهرة وعند وصولنا الى القاهرة ارتدينا ملابس الجيش الثامن وكانت عبارة عن بدلة عسكرية من الصوف الخالص وذلك لظروف البرد في تلك المناطق أى مناطق تواجد الجيش الثامن فشتاء ليبيا شتاء قارس وقاتل .

وصلنا الى مصر وقابلنا الضابط المسئول وكان الملازم اول الزين حسن الطيب فقابلنا مرحباً وأخذنا مباشرة لمعسكر التحضير بنى يوسف بالهرم ويبعد المعسكر بحوالى ثلاث كيلومترات نهاية خط ترام الهرم . كان الظلام قد عم المكان وبين حقول الذرة الشامية العربة التى اقلتنا وظلام دامس يلف المكان تقطعه احياناً مصابيح العربات .

وصلنا المعسكر وبعد سهرة صغيرة بميس الضباط خلدنا بعدها للنوم لنستقبل اليوم الثاني في ملابسنا العسكرية التي صرفت لنا وكان منظرنا بالبذة العسكرية جميل جداً ومضحك احتفلنا فرحاً بهذا الرداء الجديد والذى نرتديه لاول مرة وهو زى الميدان أو لبس خمسة (كما يسميه العسكريون) . كان مرافقنا في الرحلة هو الملازم أول الزين حسن وقد مرت بنا حوداث ونوادر سوف اذكرها في جانب اخر من هذا الكتاب .

صرفوا لنا مبلغ من المال بالعملة المصرية لنشترى حاجياتنا استعداداً للرحلة ولنودع بها حياة المدينة . وعلى الرغم من خطورة الرحلة فقد كنا فرحين وكأننا لا نحس بذلك الخطر المحدق بنا كنا فرحين بهذه الرحلة التي تتيح لنا التعرف على بلاد جديدة واناس لم نراهم من قبل والات الحروب التى لم نشاهدها وقد كان راينا هناك اهوال الحرب من دبابات وعربات مصفحة وطائرات وكلها محطمة ومشوهة رغم حداثتها وشاهدنا صفائح الوقود الفارغة متناثرة على مد البصر ولو فكر شخص في جمعها لاصبح مليونيراً

فى زمان كانت فيه الصفيحة الفارغة لا تساوى أكثر من قرشين.

قبل ان اسرد عليكم رحلة الذهاب أود ان اتوقف قليلاً لاحكى بعض مما حدث بالقاهرة فقد قضينا بها اياماً حلوة مع الطلبة السودانيين وهم احمد سليمان طالب القانون وعلى محمد ابراهيم طالب القانون ايضاً وطالب الطب عزالدين على عامر ومحمد امين حسين [رحمه الله] وكان الاخير محامياً وجدناه فى تلك الايام يترافع فى قضية مصرع الفنانة اسمهان. والشاعر الضابط المرحوم عبدالمنعم عبدالحى وعبيد حسن حامد والمرحوم عقيل احمد عقيل الطالبين بكلية الحقوق والدكتور أبو حسن أبو وطالب الطب محمد حامد صالح الملك والمرحوم عبدالماجد ابوحسبو الطالب بكلية الحقوق وبعض الاخوة السودانيين العاملين بمصر وهم كثر وأصدقاؤنا الشباب بالاذاعة المصرية (ركن السودان) وكانوا أول من اختيروا للعمل بها هم المرحوم الدكتور محمد المعتصم والشاب فؤاد عمر والسيده ثريا جودت والشاب عاصم دنانة ومامون النجار والمرحوم عبدالرحمن صالح ومحمد الامين الاسمر وهم عاملون بالاذاعة الى الآن. اذاعة وادى النيل الحالية يتبوأون فيها اعلى المراتب.

انقضت الفترة المحددة للاقامة بالقاهرة وحانت ساعة الرحيل الى ارض المعركة فارتدينا الزى العسكرى وركبنا القطار من محطة مصر الى مدينة العلمين حيث نزلنا متراحين فى صفوف وتم تطعيمنا ضد بعض الامراض وقد عانينا من مضاعفات التطعيم ولم نذق طعماً للنوم ليومين ماعدا احمد المصطفى الذى هرب من التطعيم.

بدأنا عملنا من أول معسكر ويقع بمدينة (برقة) وهى مدينة وديعة وجميلة بناها الطليان كمصيف لهم تطل على البحر المتوسط واسمها الاصلى (درنه) وكانت هذه المدينة على شكل فلل آهلة ممتلئة بالضجيج الطليانى ولكن خروجهم منها لفها بنوع من الهدوء الغريب فاصبحت المدينة مهجورة بسبب الحرب الا من بعض الرحل الليبيين نزلنا من القطار فى تلك المدينة فقد كانت اخر محطة للقطار فى الاتجاه الغربى واستبدلناه بالسيارات التى حملتنا الى داخل المدينة التى يلفها صمت رهيب وظلام دامس تتخلله انوار تشع من أماكن متفرقة الى ان دخلنا الى المعسكر. وبعد السلام والتحايا أقمنا الحفل وكان بمثابة وداع للجنود المقيمين بالمدينة لانهم كانوا فى طريق العودة وكان القطار الذى اقلنا الى المدينة سيحملهم فى رحلة الاياب الى مصر فالسودان.

فى صبيحة اليوم التالى قمنا نودع الفرقة المسافرة وصادفنا شاب سودانى تعرفنا عليه

وعرفنا انه مسئول عن الزراعة فى المنطقة كان هذا الشاب هو (حريز) من اهالى برى المحس . أكملنا يومنا ذلك وهو يوم راحتنا مع الاخ حريز الذى دعا أعيان المدينة من العرب الليبيين وقضينا سهرة ممتعة جداً .

فى اليوم الثالث واصلنا رحلتنا بالسيارات لنمر على كل الوحدات وكان الشارع المسفلت واحد يمر بها جميعاً وقبل ان نتحرك تلقى الاخ الزين حسن الضابط المرافق برقية لنا تأمره بان لا يحود عن الطريق المحدود مهما كانت الظروف . لخطورة الطريق ومزارع الالغام فأثار هذا النبأ فزعنا وتأكدنا اننا قد تورطنا ونحن امام تجربة قاسية .

تحركت السيارة التى تقلنا وهى لورى كبير مزود بكل ما تحتاجه الرحلة وكنا بها نحن الثلاثة وسائق العربة ومهندس ميكانيكى والاخيران عسكريان يحمل كل منهما مدفعاً رشاشاً وكانت تتقدم سيارتنا عربة صغيرة بها الضابط المسئول والسائق وجاويش .

بعد ان سرنا النهار كله وبعد دخول الليل توقفنا لتناول وجبة العشاء فاصر الاخ بدر التهامى ان يطبخ وجبة ساخنة بدلاً عن المعلبات وطلب من السائق ان يشعل نارا فذهب السائق يجمع كميات من الرمل المليء بالذخيرة الفارغة وصب عليها قليلاً من البنـزين وأشعلها وجلس الاخ بدر ليطبخ لنا اكلة شعبية سودانية وهى (ملاح روب) مستخدماً الجبنة والصلصة والماء واللبن وكنا نجلس حول النار طلباً للدفء من زمهرير البرد القارس وجلس بجانبنا بعض اطفال البدو الذين تجمعو اثر رؤيتهم لتلك النار ونحن فى انتظار الحلة فاذا بالحلة تطير على اثر دوى هائل ويتطاير ما بها علينا واذا بنا جميعاً نعدو ناحية العربة لنعمل (خلف ساتر) وتعنى بلغة العسكريين نحمى انفسنا) وبعد مدة ليست بالقصيرة راينا اولئك الاطفال حول الحلة واندهشنا ورحنا نسألهم عن جلية الخبر؟ فقالوا ان كل مافى الامر ان طلقة قديمة لم تنفجر كانت وسط النار وبعد ان اشتعلت انفجرت فالتفتنا نلوم بدر على فعلته وزجوناه الا يقدم على أمر مثل الذى حدث خوفاً عليه .

طلب منا الضابط المرافق الاخ الزين ان نشد الرحال وعلى بعد ثلاثة كيلومترات فقط توجد قرية بها مطعم وقهوة وما ان وصلنا القرية حتى عدونا انا وأحمد والزين الى داخل المطعم نسأل صاحبه مالديه ولم نجد غير طبقين فاصوليا ناشفة فطلبنا منه ان يقسمها على اربعة اطباق وكان بدر قد تأخر عنا وبقى فى العربة يجمع بعض حوائجه .

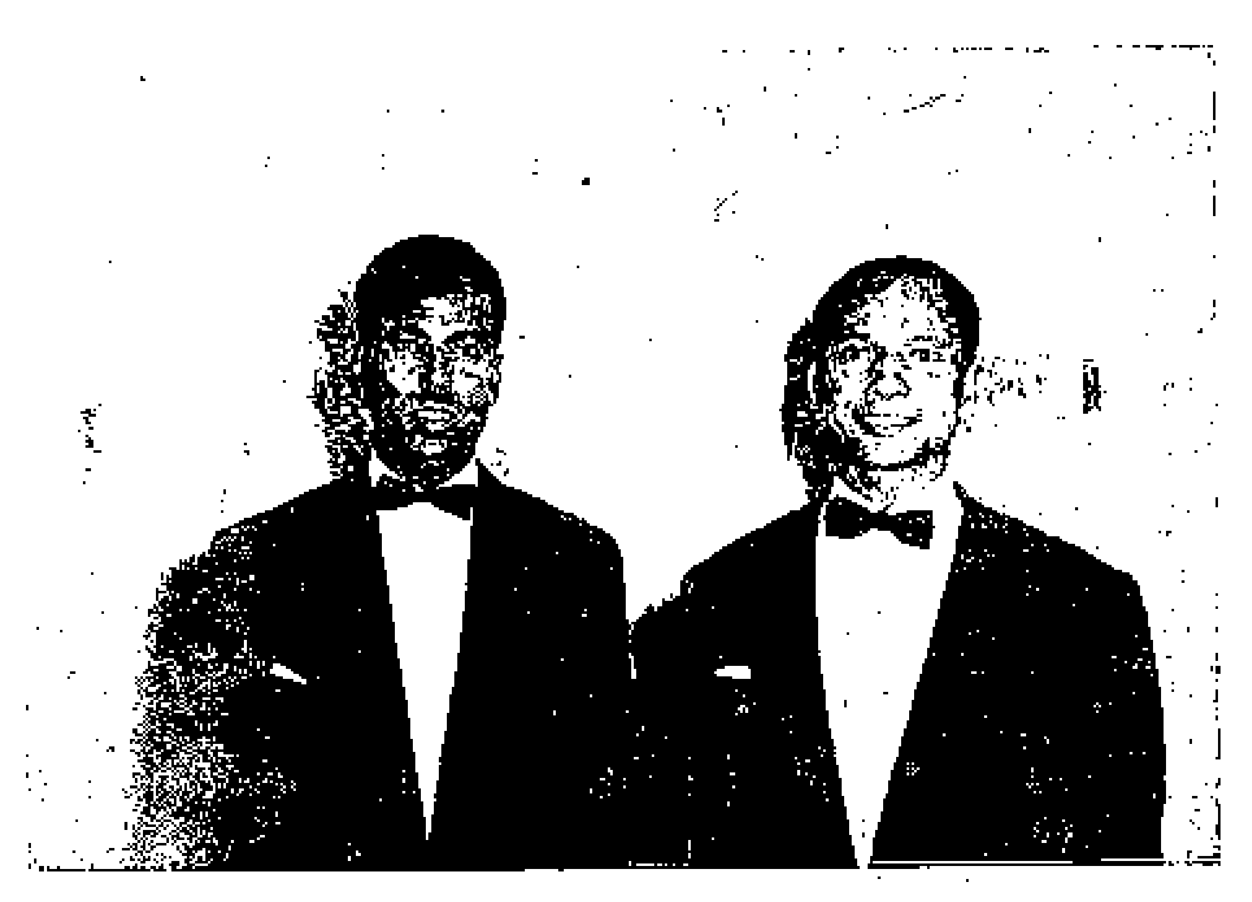
احضر صاحب المطعم الاكل كما طلبنا . وبدأنا نأكل بشهية فقد كان الجوع قد بلغ

بنا مبلغاً عظيماً والبرد قارس والاكل ساخن وقضينا عليه في دقائق معدودة وتركنا للاخ بدر طبقه وجاءبعد ان فرغنا نحن من الاكل فقدمنا له الطبق وهجم عليه وكأنه اسد ينقض على فريسته بعد طويل عناء ومطاردة أحتضن الصحن ونظر حوله وفوق المائدة فوجد ثلاثة اطباق صغيرة بها ملح وشطة والثالث به شيء داكن ترابا يستعمل كطفايه فاخذ بدر كمية من الملح والشطة والتراب معتقداً انه فلفل وصبه على الطعام ما اولج اللقمة الاولى في فمه حتى صاح (ده ظلط داء فظيع)؟ وضحكنا كثيراً فقد شرب بدر المقلب للمرة الثانية وتوكل على الله وفتح علبة ساردين وامتثل لامر الله. وقضينا ليلتنا تلك بالقرية وواصلنا سيرنا في الصباح الباكر لنصل في نفس اليوم الى مدينة (مسراطه) وقبل الن نصل المدينة كانت العربة تسير بنا سيراً هادئاً ونسيم الصباح العليل يداعب الشجيرات المتباعدة والصباح الهادي الجميل يطفي سكوناً على جنبات الوداي. فلا تسمع غير ازيز ماكينات العربة وكنت سارحاً اتامل ذلك الجمال الخلاب حينها دوى

إصوت انفجار وكنت اركب حينها بجانب السائق فسالته ما هذا؟!! فأجابني بان هذا الصوت هو صوت لغم اي ضد الانسان ووقفنا قليلاً لمعرفة الامر. وواصلنا سيرنا الى مسراطه وكان استقبالنا حاراً ذبحت خلاله الذبائح اكراماً لنا واحتفاءاً بنا.

وذقنا بعد كد وتعب الماء البارد النقي والاكل الساخن الدسم قضينا ذلك النهار وفي المساء اقمنا حفلاً خارج المدينة بمعسكر الجيش بعد انا أعدو لنا مسطبة من الخشب مضاءة بمصابيح العربة وقد قامت بتشيد هذا المسرح فرقة سلاح المهندسيه انتهى الحفل بسرعة وذهبنا بعده الى ميس الضباط وسهرنا حتى صباح اليوم التالي. وكانو مسافرين في نفس الصباح الى القاهرة بانتهاء فترة تجنيدهم وكنا نحن سنواصل المسير بعد ان حملنا بالهدايا الفاخرة من قمصان وبطلونات وحلوة وسجائر وغيرها. اتجهنا الى طرابلس مارين بمدن عديدة منها [مدينة الاخمس] الاثرية صاحبة التاريخ العظيم. وقد سمعنا من حرس المدينة انها ظلت مدفونة نحو خمسمائة سنة واكتشفت قبل الحرب وظهرت معالمها وتوقفنا فيها ودخلنا اليها من البوابة العمومية فكان أول المدخل رسم نموذجي للمدينة يحكيء حالها. قبل ٥٠٠ سنة.

وشهدنا العجب والله بعد ان شاهدنا مسرحها الدائري على المقاعد الحجرية ومنازلها ذات الطابع العربي القديم الجميل وقبل ٥٠٠ سنه كانت تعمل السيفونات بطريقة لا أقدر ان اشرحها هنا بتفصيل فهي شبيهة بالتي نستعلمها الآن ـ سبحان



حسن عطية ورفيق دربه احمد المصطفى

الله ـ هؤلاء القوم متحضرون قبل ٥٠٠٠ سنه، الجميل فى الموضوع ان احمد المصطفى كان يحمل معه صندوق صغير عبارة عن كاميرا او ـ مصوراتية ـ بلغة ر... وهو اسود مربع لكنه كان يصور فعلا ـ اخذ احمد لهذه المدينة صور مختلفة لاهم معالمها واخرج فيلما اخر اخذ يصور كلما تقع علية عيناه من جمال واشياء نادره ونفيسه الى وصلنا الى طبرق ـ وهذه مدينة كبيره سنعمل بها عدة حفلات بعدد المسكر وقضينا بها كذا يوم كنا محمولين على حدقات العيون وهنا يجب ان اعرف ان طبرق مدينة احتلت اربعة مرات مرتان من المحور ومرتان من احتلال الحلفاء الاخر... ى ارجعنا الى قواعدنا سالمين. وجدنا بها الشاب الملازم ابوبكر فريد وكان شابا انيقا جميلا

وفي وسط هذا الحطام للمدينة كانت غرفته بعد بنايتها بواسطة الجنود المهندسين الذين كانوا يشيدون لانفسهم منازل حربية جديدة لسكنهم بعد تدمير المدينة وتحطيمها وكانت من بينهم غرفة ابوبكر عباره عن صالون ودولاب ابيض مليان بالملابس الجميلة والروائح العطرية والبخور السوداني السبب الذي دعانا الا نعيش الا في هذه الغرفة وعملنا منها غرفة بروفات ومنزل للراحة وشرب الشاي المنعنع .

وكان ابوبكر يملأ فراغه بقرض الشعر واختار احد من ضمن قصائده الملحنة اغنية «كلما ذكرت جماله» الاغنية المعروفة التي كان يحكى فيها ابو بكر ايام المعاناة ايام النيران والضرب هذا جانب من ابوبكر الفنان نأخذ جانبه كضابط كان شجاعا ابلى بلاءً حسناً في طبرق ويكفينا ما وجدناه وشفناه منه من شجاعة واقدام كان يداعبنا دائما مداعبة عنيفة جدا جدا دعانا نحن في يوم من الايام ومعنا المرحوم صالح بشير والشاب محمد عشرى الصديق وكان صالح بشير ومحمد عشرى من ضمن الضباط المهندسين والكتبة دعانا حسب كلامه لنحضر حفر «دروة» ضرب نار وذهبنا معه بالعربات لاطراف المدينة الى مكان معين ووجدنا ستة جنود ومعهم آلات حفر وذخيرة اسمها «جلكنايت متفجرات» وجدناهم محضرين اربعة حفر متساوية يحشونها بهذا الجلكنايت الذي يشبه معجون البوية وربطت باربعة خيوط وفي النهاية انتهت بخيط واحد يسمى بالفتيل وسحبها معه ونحن مشدوهين نعاين ويدون سابق انذار قال لنا بصوت عالي «يالله اجروا بعيد انا حاولع النار» وخرجنا جميعا وكاننا في سباق الى ان ابتعدنا عنه تماما ووقفنا على بعد ننظر وهو لسه يجر في الفتيلة التي بيده الى ان وصل الى حطام عربة صالون ركوبة ودخل العربة واشعل الفتيلة بباقي عود الثقاب الذي اشعل منه سيجارته وطارت الفتيلة مشتعلة نحو الاربعة فتائل لتشعلهم ليصل الاشتعال الى الاربعة اركان وينفجر الاربعة اركان لتعمل فجوة طولها ستة امتار وعمقها اربعة امتار وتتطاير الحجارة في الهواء مختلفة الاشكال والاوزان شاهدنا عدة حجارة تسقط على رأسه وهو داخل العربة وبعد لحظات وصلناه بعد ان طلع من العربة وصلناه وصرخ ينادينا «ياجماعة تعالوا ـ وذهبنا اليه مسرعين وقلنا له حمداً لله على السلامة ـ بكل بساطه رد علينا سلامة ايه ياجبانين انتو قايلين انا بموت ؟؟ بعد ان رأينا هذا المنظر وعرفنا قوة الجلكنايت ذهبنا في المساء الى مكان الحفل بنادي الضباط ـ كانت الحفلة داخل صالون النادي وبعد ان انتهينا من الحفل الرسمي دخلنا الى صالون آخر لنعمل حفلا خاصا بالضباط وكان الغناء جميلا ووقف جميع

الحضور في شبه حلقات للرقص والهز وكنت انا اراقب ابوبكر خوفا منه لانى كما قلت كان يداعبنا مداعبة عنيفه لانه كان يحمل معه كمية من اصابع الجلكنايت شديدة الالتهاب داخل جيبه واثناء الرقص كان يحتك بالراقصين ويضع لهم هذه الاصابع داخل جيوبهم وبعد ان امتلأت جيوب جميع الراقصين وقف فى تربيزة وصاح يعلن للجميع بان كل الذين بالحلبة ملغمين وينذرهم بالا يشعلوا السجاير ومن يشعل اى عود ثقاب فهو هالك وحصل هرج ومرج يستعطفونه بسحب المادة من جيوبهم وباظت الليلة وذهب الجميع الى فراشهم يفتشونه لعل وان يكون ابوبكر لغم لهم السراير وكانت ليلة رعب فظيعة والغريب فى الموضوع ان حتى كبار الضباط يعتبرون ان هذه دعابة ظريفة ولطيفة ومسلية وما فيها خوف - وفى اخر ليلة انتظم حفل الوداع حيث نسافر الى مسراطة جلسنا انا واحمد وبدر فى ثلاثة كراسى وبدأنا الغناء وبعد دقائق شعرنا بشىء ينفجر تحت الكراسى فهرولنا مسرعين واذا به ابوبكر مرة اخرى يضع اصابع الجلكنايت تحت ارجل الكراسى الخلفية وهذه المرة اخذنا الموضوع «جد» ورفضنا الغناء وجاءنا ابوبكر معتذرا وهو يقول «ما لازم نعمل ليكم ذكريات لكى لاتنسونا طول حياتكم - فعلا وقد كان » الا رحم الله ابوبكر فريد رحمة واسعة .

مسراطة : تقريبا هى العاصمة الثالثة بالنسبة لليبيا فهى مدينة كبيره مليئه بالحوانيت التجارية والمنازل العالية الطوابق واشجار اللوز وحقول العنب وبعض انواع الفواكة - قضينا فيها ثلاثة ليالى وكأنها حلم جميل لما لقيناه من استقبالات وكرم حاتمى من جنودنا البواسل ونحن لم نقصر فى العطاء وبعدها ذهبنا الى بنغازى وكل هذه الرحلات لم نزل بالعربات وبنغازى تأتى فى المرحلة الثانية من طرابلس وصلناها صباحا وكان احمد المصطفى مهتم جدا لوصوله الى بنغازى لانه يريد ان يحمض عدد من الافلام التى اخذها اثناء الرحلة من مصر الى بنغازى وذهبنا الى اول مصوراتى دكانه يعمل بالمحل عربى ليبى - اخذ الافلام وقال انتظروا بعد ساعة نعطيكم الصور محمضة وفعلا انتظرنا ساعتين قضيناها نتسلى برؤية الحوانيت المجاورة لهذا المصوراتى - كانت المفاجأة بعد ان رجعنا ان وجدنا كل الافلام محروقة سوداء ووضعها فى البنك وكأنه لم يعمل شىء فجن جنون احمد المصطفى وقال له ما هذا يارجل - اين الصور؟؟ فقاله له هاهى امامك وانت عرضتها للهواء فحرقت جميعها الا واحدة هاهى ان اردتها فخذها مع دفع الثمن والاستصادرها وبرضه تدفع الثمن لاننا تعبنا جدا فى تحميض

الفيلم ودفع احمد المبلغ كاملا ليأخذ الصورة الوحيدة التى هى كانت تجمعنا نحن الثلاثة .



صورة بزي الميدان تضم حسن عطيه واحمد المصطفى وبدر وهي الصورة الوحيدة التي لم تحترق

قضى احمد ليلته الاولى فى بنغازى وهو فى غاية الالم على هذه الفرصة التى ضاعت فلن يتمكن من التقاط مثل تلك الصور التى ضاعت وتألمنا معه وتحسرنا عليها ولم ينسينا ذلك الاستقبال الحافل الذى قوبلنا به بعد فقدنا الصور.

ذهبنا لميس الضباط وكالعاده قضينا ليلتنا الاولى بسهرة صغيره حدثنى الاخ احمد قبل السهرة بان عزاه فى الصور كباية شاى بالكيك من سلاح الاشارة وطلب من

الاخوة الضباط الشاى. فكرت قليلاً بعد ان سمعت حديثه وقررت ان « امقلبه » وبعد فترة ذهبت للمطبخ ووجدت بعض الاخوة منهمكين فى تجهيز الطلب سألتهم لمن تعدون هذا الشاى؟ هل هو للقائد؟ فردوا على بانه لاحمد المصطفى لاننا قد علمنا انك لا تشرب الشاى الا مرة واحدة فى الصباح فضحكت وقلت لهم ان الاستاذ ترك شراب الشاى ليلا لانه يفسد صوته . حزنوا لما سمعوا عنى ذلك الحديث ثم شربوا الشاى وجمعوا اوانيه وادخلوها وذهبوا لمكان الحفل وبعد ان بدأ الحفل تململ الاخ احمد وافتقد الشاى فذهب الى أحد أصدقائه الضباط يسأله عن الشاى فغاب الضابط عنه وجاءه يخبره بان الشاى قد جهز بكل مواصفاتك المطلوبة الا ان الاخ حسن عطيه اخبرهم بانك قد تركت شرب الشاى ليلا فشربوا ما اعدوه واغلقوا المطبخ.

بان الغضب على وجه احمد عندما سمع كلام الضابط وبدأت اراقبه من على البعد وظل احمد طيلة السهرة ينظر الى ولا يحدثنى الا فى حدود كنا نضحك انا وبدر . تناسى احمد مقلب الشاى وبدأ يفكر ويدبر ليثأر لنفسه بمقلب اكبر.

خرجنا فى اليوم التالى من بنغازى لنواصل الرحلة وقد حملنا بالهدايا من ملابس ومأكولات وسجائر اذ ان المعروف ان احمد لايدخن همس احمد فى اذنى وقال : « ياأخى الهدايا دى كترت ونحن لانحتاجها ويمكن ان نبيعها للعرب ونأخذ بثمنها حاجات اجمل فى المدن . . فلم استحسن الفكرة فى البدء ودخلنا لاول قرية فى طريقنا وبدأنا نبيع مالدينا فتهافت العرب على العربة تشدهم تلك البضائع النادرة باسواقهم خاصة اللبان «تشكلت» وكان الطلب اكثر على السجائر وطمأننى الاخ احمد انه كان قد زار المنطقة من قبل بان ابيع سجائرى وسأجده امامى فى أول مدينه والتى لا تبعد كثيرا عن القرية التى نحن بها. فصدقته وبعت ما معى من سجائر واحتفظت لنفسى بعلبة صغيرة.

ومرت الليلة وطلع الصباح والسجاير خلصت ومر النهار ومر الليل وكنت خرمان جدا وكل مرة اسأل احمد ايه الحكاية ده مقلب ولا ايه فرد على بالضبط مقلب لاننا سنصل باكر العصر ـ تذكرت شاى الا شارات يا بطل وسكت ولم اجب ببنت شفه لانه انتقم منى شر انتقام وكان مقلبى ليلة واحدة اما مقلبه فثلاثة ليالى وصلنا طرابلس بلد العجائب كانت جميلة بمبانيها الشاهقة الملونة وحدائقها الغناء وحوانيتها المغرية الشيقة وكانت بها الرئاسة من كل الجيوش انكليز هنود سنغال سودانيين كانت كل هذه

الاورط لهم مطربين وموسيقين من بلادهم كما قلت فى المذكره اسمهم المختصر اربعة حروف «ا. ن. س ا» هذه المره كان الاستقبال بموسيقى سلاح الموسيقى المصغر والذبائح والزغاريد من الجنود واستمتعنا بعدة ليالى وحفلات ماكنا نرفه عليهم بأقل مما رفهوا علينا. شفنا العجب وذقنا حلاوة الترحاب السودانى الأصيل وشربنا ماء الورد لأول مره مع جميع المشروبات الخفيفة والثقيلة واكلنا كل انواع الأكل السودانى والليبى والطليانى وكانت والله ورغم الدينا كانت بواقى حرب شفنا فيها جنه الارض «ما احلاك يا ليبيا.

استقبلنا فى طرابلس استقبالا حسنا وظللنا نرفه على قواتنا هناك الى ان جاء يوم الاحتفال بخروج آخر جندى من ليبيا وكان يوما رائعا وحافلا ومؤثرا. وكان يقف على المنصة القائد العام الانجليزى وقائد الفرقة الهندية وقائد الفرقة السنغالية وقائد الفرقة السودانية [طيب الذكر احمد محمد] ومرت كل الفرق من امام المنصة. وعند مرور الفرقة الممثلة لقوة دفاع السودان امام المنصة على انغام (المارش ١٤) تعالت الزغاريد والهتافات ونثرت الورود والمناديل الحريرية والحلويات على رؤوس جنودنا وداعا لهم. وعلمنا لاحقا ان القائد الانجليزى التفت الى زميله (احمد محمد) مستفسرا عن هذا التكريم الشعبى الخاص للجندى السودانى فرد عليه القائد (احمد محمد) قائلا «اذا اردت معرفة السبب فارجع الى دفاتر جزاءات كل الجنود فستجد ان دفتر الجندى السودانى خالى من كل ما يمس الشرف» وهكذا كان جنودنا يستحقون هذا التكريم الخاص. حيث تركوا اثرا رائعا وحيدا فى نفوس الشعب الليبى.

ورجعنا قافلين الى القاهرة بقطار السكه حديد - كانت ساعات مرت وكأنها الدهر كله - المهم - ربنا سلم ووصلنا ارض الكنانه. امنا مصر العريقة الجميلة وشعرنا بارتياح شديد كأننا وصلنا السودان وذهبنا الى المعسكر فى بنى يوسف بالهرم مع الذين كانوا ينتظروننا وبتنا ليلة سلمنا فيها العهده تانى يوم الصباح وهى عباره عن ملابس الجيش ورجعنا الى ملابسنا الملكيه وأصبحنا ملكيين كما قمنا من بلادنا وكان المرفوض ان نسكن فى حى الهرم ولكن الترام الذى يوصل للهرم يتوقف الساعة ١١ مساء وكان هذا لا يكفى لاننا كنا طلاب سهر وعشاق موسيقى ورقص وأستأذنا من المسئولين ان يسمحوا لنا بالسكن فى القاهرة فذهبنا وسكنا فى شارع عبدالعزيز تقاطع شارع محمد على امام العتبة الخضراء فى لوكنده «ريش» ولم تنزل وهذه اللوكانده حتى الان وخرجنا

للتنزهة وقبل ان نقطع الشارع لنجلس في كنبات العتبه الخضراء رأينا الاخ الطالب عبدالماجد ابوحسبو خارجا من فندق بور فؤاد اول شارع محمد على وكان بالقرب من فندق ريش وفرحنا جدا بلقائه وأخذنا الى قهوه متاتيا بالقرب من العتبه الخضراء.

جوار مطافىء القاهرة ووجدنا بالمقهى اعدادا كبيرة من السودانيين وسمعنا اخبار السودان.

مازلت اذكر ذلك اليوم فهو نهاية الاسبوع مساء الاربعاء كنا لا نملك ثلاثتنا غير اربعة جنيهات وبمقياس ذلك الزمان كان مبلغاً محترماً ويكفى لمدة طويلة وحسبناه ووجدناه انه يكفى لسهرة محترمة في اى مكان بمصر فقررنا ان نصرفه وكنا نعقد الامل على استلام مرتباتنا من القنصيلية صباح الخميس.

صرفنا ما لدينا واصبحنا على امل السلفية فقد قررنا ان نبقى بالقاهرة لمدة شهر وكان ذلك في شهر فبراير والشتاء على اشده وكان الاخوة الطلاب السودانيون في انتظار عودتنا على احر من الجمر وكانوا قد أعدوا لنا برنامجا حافلا.

وفي صباح الخميس خرجنا وما معنا غير ملاليم الترام لنصل الى القنصيلية بميدان التوفيقيه، . خرجنا والامل يملأ جوانحنا ودخلنا الى القنصيلية والتى كان معظم موظفيها أو قل كل العاملين بها انجليز ما عدا واحد هو الاخ الاستاذ محمد حسن عبدالله المربى الجليل وكنت اعرفه فقد كان استاذى بمدرسة الخرطوم الابتدائية ومعه اثنان او ثلاثه عاملين استقبلونا ورحبوا بنا خير ترحيب

وسألنا الاخ محمد عما نريده فاخبرناه فرد علينا معتذرا بانهم لم يتلقوا برقية من الخرطوم تفيد بامكانية تسليفنا من مرتباتنا واردف قائلاً ان الوقت قد ضاع وتجاوزت الساعة الثانية عشر ظهرا ولكن ذلك لا يمنع ان نبرق الخرطوم رئاسة قوة دفاع السودان لتفيدنا بامكانية تسليفكم ولكن لن نسمع الرد قبل الثانية عشر ليلا، جلسنا ننتظر الرد وكانت الساعة الثانية مواعيد اغلاق المكاتب فاجأنا الاستاذ محمد ليعتذر بانهم لم يتلقوا رد على الرسالة . وطلب منا العودة يوم السبت.

وقع النبأ علينا كالصاعقه والجمت الدهشة السنتنا فخرجنا نجر اذيال الخيبة وذهبنا راجلين الى العتبة مكان (الفندق) وصلنا حديقة الازبكية وجلسنا بها وقد استبد بنا التعب والجوع وحار بنا الدليل.

واستسلم الاخوه احمد وبدر للواقع ولكننى ظللت البحث في جيوب البدلة علنى اجد شيئاً فبحثت في الجيب الاول وخرجت يدى فارغة الا من بقايا تذاكر الترام

وادخلت يدى فى جيب اخر واخرجتها وقد وانفرجت اساريرى وهللت لانى وجدت قرش صاغ كامل

وأعلنت النبأ على احمد وبدر فهللوا وقررنا عقد اجتماع عاجل لنحدد احتياجنا الفعلى وما يمكن ان يسد الرمق فول او تسالى أو صميت عيش - بالسمسم والجبنة او طعيمة وعيش. واستحال الطلب الاخير لرفض اصحاب المطاعم جلوس أكثر من فرد على الطلب واستقر الراى واجمعنا على الصميت والجبنة وابتعناه من الباعة المتجولين وتناولناه فابتلت عروقنا وذهب الجوع قليلاً واوصلنا المسير الى الفندق وقبل ان نصل خطر على بالى الاخ عبدالماجد ابوحسبو فقررت ان اذهب اليه علنى احصل على قرض مالى ولو جنيه واحد.

وكتمت ذلك على الاخوين احمد وبدر ولكنهم تبعونى. دخلنا على الاخ عبدالماجد ووجدناه جالساً الى مائدة الغداء وامامه طبق من الارز وسلطة وطبق ملوخية ورغيفين عزمنا عبدالماجد بهمة لنتغدى معه ولكن الاخ احمد شكره وأردف نحن اتغدينا واستاذناه وخرجنا بسرعة بحجة اننا ناعسون ووصلنا الى الفندق وتخانقنا مع احمد على سرعة رده للاخ عبدالماجد، فقال اننا كنا قد اتفقنا لا نخبر احد بما حدث فواصل احمد - ايه رايكم نأكل على حساب الفندق. ؟، فقلت له : (دى قديمه، دى ممكن تطردنا من الفندق لانه ستكشف سرنا). (ساد الصمت برهة) وصرخ الاخ بدر وجدتها فانتبهنا اليه فقال . . . لقد كلفت من بعض اقاربى فى السودان لاحضر لهم زيت زيتون من طرابلس ولقد احضرته والان موجود بغرفتى . . . قاطعناه . . . طيب ماذا تنتظر اذهب لشارع عبدالعزيز وهو ملىء بمحلات بيع الطعمية والفول ويمكن ان تفرج ازمتنا - تردد قليلا ثم حمل الجالون ونزل السلالم وبقينا احمد وانا نراقبه من الشرفة. وهو يتنقل من مطعم الى اخر يحمل الجالون وعاد مرة اخرى يجرجر اذيال الخيبة ويحمل الجالون وقبل ان نسأله قال . . . سيبك ديل ناس مستهبلين كملوا الزيت ذواقه واخيراً قالوا ما نافع معاهم.

صحوت على صوت زوار وضح من كلامهم انهم سودانيين بعضهم طلبة والآخر زوار فى إجازة وطبعاً نحن فى هذه اللحظة لا نملك خمسة مليمات المهم بعد لحظات قررنا ان نصرفهم بحجة تعبانين ونعسانين . . وكان كل مرة يضغط علينا الجوع ضغطاً شديداً وقبل ان نفكر فى النوم قال حمد وياجماعة انا عندى اقتراح هو انه كل واحد فينا ياخذ فنجان زيت وننوم لانى سمعت ان الزيت بطرى المعدة على الاقل

بنومنا لغاية الصباح» ود حصل وبدأ صاحب الجالون فى الجرعة وتبعناه جميعا، ونمنا فعلاً ولكن الفرحة لم تلم الا قليلاً فقد شعر كل منا بمغض شديد صحينا على اثره وكان الاسهال ولم تغمض حتى الصباح وطبعاً كانت البطون فارغة، وربنا ستر ولم يحصل لنا فقدان سوائل واذا حصل ما كنا حنعرف. المهم خرجنا نلف الشوارع بدون هدف وفائدة ولم نجد اى زول نعرفه لانه كان اليوم جمعة والسودانيين بيكونوا سهرانيين ونايمين وفى هذه اللحظات شعرنا جميعاً بان بنطلوناتنا وسعت علينا وشدينا الابازيم على بطوننا بدون فائدة وفكرنا فى ان كل واحد فينا يدخل ايده الشمال فى جيب البنطلون يشدة لنساعد البنطلون على الوقوف ويترك ايده اليمين للسلام اذا حصل فجأة ومشينا ثلاثتنا بهذا المنظر راجعين الى الفندق بعد ان حل علينا التعب والاعياء وتسطحنا على سرايرنا بدون اى كلام وفى هذه اللحظات غفوت غفوة بسيطة حلمت فيها انى باكل اكل جميل وكثير ويظهر انى كنت بمضغ بصوت عالى وصحونى الجماعة «قوم يااخى انت انت حلمان بايه بتاكل فى ايه» فقمت عملت معاهم شكلة كبيرة قائلاً «ياجماعة الواحد لما يحلم بالاكل ماتريحوه أعوذ بالله» المهم خرجنا العصر بدون هدف وبدون سبب وجدنا انفسنا فى شارع «كلوت بك» وهنا كانت المفاجأة تذكر احمد ان له صديق دنقلاوى صاحب جراج اسمه سعيد فذهبنا اليه ولحسن الحظ وجدناه شاب طويل اسمر انيق ووجيه تبدو عليه النعمة، استقبلنا استقبالاً حسناً مرحباً بنا وجلسنا حوله وهو ممسك بشيشته الطويلة وطال السلام ونحن منتظرين يقول: «تعال يا ولد شوف الجماعة» وبعد كلام كثيرلاحظ الاعياء علينا فقال «ايه الحكاية يا جماعة انتو باين عليكم تعبانين جداً من السفر» فقلنا له «فعلاً» (واخيراً قالها) «تعال يا ولد هات تلاتة كازوزة «ليمونادة» وتلاتة شاى بالحليب» ورديت عليه بسرعة فقلت له «يلا يا أخ سعيد انا عاوز كاس كونياك عشان عاوز انشط شوية» فقال «جداً طيب يا واد كاس دبل ومعاه مزة تمام»..وطبعاً انا لا عايز كونياك ولا حاجة انا عاوز المزة طبعاً وما ان وصلت صينيتى وكان فيها رغيف وجبنة وزيتون وترمس وخيار ولم ألتفت بعدها لأحد فاذا باصحابى يهجمون على صينيتى ساكين الكازوزة والشاى بالحليب فاستغرب الراجل وادرك ان فى الامر شىء وقال «يا جماعة انتو ما اتغديتو»؟ فطوالى حكى احمد كل الحكاية فأدمع الراجل وقال لأحمد «ليه يا احمد نحنا اخوان ومافى مدسة بيناتنا، طيب انتو ساكنين وين»؟ فحكينا له قال: «طيب يلا بينا على الفندق» واخذنا بعربية فارهة ووصلنا الفندق وقال «اطلعوا يا جماعة لموا عفشكم». ولما نزلنا وجدناه دفع

الحساب مع البقشيس واخذنا طوالى الى منزله فى شقة جميلة فى البلد، وضرب تلفون لاحد المطاعم القريبة منه وطلب اربع رطل كباب وكفتة .

وبعد كدة اخذنا الى شارع الهرم وسهرنا فى الأوبرج وهو نادى ليلى يرتاده عظماء وسياسيى البلد واولاد ذواتها حتى الملك فاروق كان له مكان خاص فى هذا الاوبرج وسهرنا حتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى .

بعد كده طبعاً فرجت واصبحنا ثانى يوم وذهبنا الى القنصلية الساعة ١٢ ظهراً ووجدنا التلغراف وصل يأمر ان يصرف لنا حدود خمسة جنية للفرد وقضينا بعض الوقت فى القاهرة ومنها عدنا الى السودان فرحين مبسوطين وكانت فرحة لنا عظيمة شفنا الهوايل ما كنا ندرك انها ستكون ذكريات ذات قيمة عظيمة نجانا الاله العظيم من كثير من اهوالها .

الباب الخامس
كسلا وأسمرا



ايام الشباب في الهضاب الاثيوبية

كسلا واسمره :

وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها واستقرت الامور بعض الشيء كنت اثناء الحرب اسمع عن اسمره المدينة المعلقة على رؤوس الجبال وجوها الرائع وشبابها الملىء بالحيوية والفن ورخص مشترياتها ، فكرت في انني يجب ان ازورها ، كان حينها اخي

يوسف يعمل بين كسلا وتسني حدود اريتريا ومقره كسلا ومعه شاب من نفس حلتنا هو حفني ابوزيد «الله يرحمه» طالت مدة لم نسمع عنهما فاتفقت الامرتان ان يرسلوني لاخي ومعي سيد حسن ابن اخت حفني. وفعلا ذهبنا لكسلا وبسرعة البرق وجدناهما في قهوة السواقين، وبعد الاحضان والسلامات اخذونا لافخم مطعم وكانت الدنيا ليل ومنها الى سهرة جميلة وكان معي العود طبعا، كان اخي يوسف يعمل عند ابن شيخ الصاغة سائق لوري وكان شاب لطيف مغرم بالغناء وبالليالي الفنية. وعرفت انهم يسافرون كل يوم لحدود اسمرة ويرجعوا في اليوم التالي حيث كانوا يعملون بالبراشوت «التهريب» وقلت: اهي فرصة يا ولد امشي معاهم ونشوف على الاقل حدود اسمرة، وفعلا ذهبت ووجدت كل شيء متغير عن السودان تماما الشوارع، الناس العربات، الجو، النوادي الليلية والمراقص. رجع اخي وحفني بعد ان قضينا يوم جميل وحلو جدا الى كسلا وبعد ان جهز حفني ويوسف انفسهم للعودة معنا للخرطوم بعد ان علمت لاحقا انهم كانوا سيعودون للخرطوم لولا حضورنا.. وفعلا عدنا للخرطوم وبعد الاحتفال بهم وقضوا معنا اسبوع اجازة بدأوا في ترتيب انفسهم للعودة لكسلا انتهزت هذه الفرصة لاعود معهم لارى اسمرة فاستعديت معهما فكونت فرقة موسيقية صغيرة مكونة من الاخوة يحيى زهري باشا عازفا للكمان، محمد احمد محمد خير داكو عازفا للعود. لكي نقوم بحفلات في كسلا ونتزود بالمال ونذهب لاسمرة. المهم نزلنا من القطار وكانت نهايته والدنيا ليل فذهبت لمحل كبير تجاري فيه اكبر مطعم ومقهى وجدت فيه هناك المرحوم سرور وفرح جدا بلقائي.

وبعد ان قضينا مدة بسيطة بكسلا ذهبنا جميعا الى اسمرة بالقطار من كسلا الى تسني حيث ينتهي القطار وبعدها المركبات والشاحنات هي الوسيلة الوحيدة لنقل الركاب غير انه وفي بعض الاحيان تجد انواع من البصات تعبانة جدا يستعملها الاهالي، ركبنا بعد التفتيش الجمركي الذي اتعبنا جدا لان هذه اللواري عادة من الاشياء القانونية تحمل الجلود المدبوغة والفول السوداني والعطرون وغيرها، والمحظورة الذهب الخام لغلاء ثمنه حيث يباع بالشلن الطلياني ويشتروا بثمنها الريالات الحبشية.. القشلية وهي من الفضة الخالصة حيث تصهر وتصنع منها الحجول والاساور لتتزين بها نساء العرب الزبيدية والهدندوة وتباع بأثمان غالية جدا، وطبعا عند تعبئتها وتفريغها كنت ارى كيف يتفنن اصحاب اللواري في اخفائها وشفنا فيها الهول.

المهم وصلنا كرن بعد ان مررنا ببارنتو وهيكوتة نزلنا لنقضي ليلتين بكرن لان منظرها كان جميلا وكانت مفاجأة لنا عندما انزلنا صاحب اللورى امام محل تجارى كبير يجلس عليه الاخ حفني ابوزيد صديق اخي يوسف حيث كان يعمل نجارا هناك فازدادت دهشتي عندما علمت ان هذا المحل هو محله فرحب بنا ترحيبا حارا وقال: [الليلة دي حنعمل مفاجأة كبيرة في البلد تعرفوا ان محمد يوسف على الليلة زواجة من شابة كانت تعمل معه اسمها لتشيه وسيمر الموكب من هنا بعد شوية في طريقه للاحتفال الكبير في البراكس] محل اقامة الضباط فهي «الميس» وفعلا مر الموكب وركبنا عربة الاخ حفني الفيات ووصلنا معهم وبمجرد ان رأوني علت الهتافات وضرب البروجي «البورى» ان حسن عطية وفرقته الموسيقية حضرت الآن، وبدون سابق انذار ترك العروسان الكوشة الملوكية واقبلا نحوي بالاحضان والقبلات.

واتذكر انني شاهدت امام المطبخ المعد لتجهيز الطعام والشراب كان هناك ثلاثة اشخاص واقفين امام حلل كبيرة جدا يصبون فيها كل انواع الخمور «كوكتيل» احتفالا منهم بهذا الزواج ويغرفون لكل من يمر بجوارهم في كوز طلس ابيض كبير. طلعت اغني ورفاقي وفي اثناء الفاصل الاول لاحظت انالحضور كانوا في حالة سكر شديد من جراء الكوكتيل وانطلقت الاعيرة النارية وعلت اصوات المعازيم فرحا وانتشاء والزغاريد تضاربت مع اصوات التصفيق الحار. وعندما نزلت وجدت ان عدد الحضور قل جدا والعرسان في ذهول من الذى يرونه امامهم فبدلا من ان يفرح المعازيم بالعرسان تركوهم في اندهاش يضحكون، وارتبك الترتيب والنظام والاكل. وفي صباح اليوم التالي كان الجو صحوا والامطار تتساقط قلت للجماعة انا افتكر احسن نهرب قبل ما يصحو الجماعة ديل ونأخذ المقلب الشربوهو الجماعة امبارح.

وفعلا ركبنا بص انيق وجميل وكانت الساعة السادسة صباحا تقريبا ودخلنا منطقة الهاويات ودي منطقة ياما وقعت فيها لوارى وشاحنات وبصات وركاب وبضائع بدون عودة وهاوية تدينا لهاوية، الحمد لله سلمنا منها ووصلنا حوالي الساعة الثامنة والنصف اسمرة. ياسلام كل حته فيها ملونة، الناس، الشوارع، العربات، البيوت، الاشجار، المحلات، التكاسي، والخناطير الصغيرة. نزلنا في فندق في منطقة وسط السوق العربي واسمه «بيرقوابرا».

قضينا ايام عمرها ما حتنسى من على بالنا، البلد طبعا كانت جديدة عل ١٠ وكلنا مشدوهين امام ما نراه وما رأيناه يعجز قلمي ان يصفه من ترحاب واعجاب وصار لنا

اصدقاء ومعارف ومعجبين ورسائل وذكريات عطرة طالما تؤرقنا كلما حانت منا للماضي التفاتة .



صورة جماعية ضمت الفنانين والاداريين والجنود

من تلك الـذكريات قصة روزينا زوجة الحاكم الحبشي ، فبعد ان توفى زوجها بقيت هي وحاشيتها في القصر . وكما ذكرت ان الحاج سرور كان قد زار اسمرة كثيرا قبلي وكان له معجبين واصدقاء وكانت روزينا على رأسهم ، وعندما حضرت كلمني عنها كثيرا وقال لي «سوف اخبرها بحضورك وتعمل حفل صغير لتغنى وتعزف امامها» وجاء اليوم المحدد واخذني الى منزل الحاكم وقابلتني مندهشة وتكلمت معي بلغة عربية . (كنت افتكرك كبير لاني سمعت عنك كثير) فقلت لها «لما اغنى حيتغير

وتشوفيني كبير» وضحكنا وبعد التعارف اتفقنا على ان نقضى معها عطلة الاسبوع يوم الاحد بعد الكنيسة الساعة واحدة ظهر.

وفى يوم الاحـد التقينـا بمجموعة من الاخوة السودانيين رفيعي المستوى والمقام ومجموعة من صديقات واصدقاء روزينا من حبش واريتريات وطليان . وبدأت الحفلة وبدأت الغناء، وبدأت الزغاريد والهتافات ورقيص سوداني وحبشي ، وكنت اشبك الاغاني مع بعض واستمر الفاصل ولاول مرة لى منذ بدايتي الغناء أغني عشر اغاني مرة واحدة، وعندما وضعت العود جانبا لم اجد الا نفسي محاطا بكل هذا الجمع الغفير من الزوار حولى يهتفون باسمي ويقولون كلمات لم افهم معانيها بالطبع ولكن لم اجهل شجاها فقد احسست فيها العطف والحنية والحب وتعطرت ملابسي تماما بماء الورد والفل وغيرها من العطور طوال الثلاثة ايام التى قضيناها فى قصر الحاكم ولم استطع انا والحاج سرور ان ننام اكثر من ثلاثة ساعات ولكن الجو المرتفع وبشاشة الحضور تزيل اثر التعب فنواصل تلك الايام الثلاثة بلياليها. وعدنا الى غرفنا فى الفندق فى ارهاق شديد فقد اجتمع تعب الايام الثلاثة علينا.

وفى صباح يوم الخميس الساعة عشرة صباحا ذهبنا انا والحاج سرور لنشكرها على هذا الكرم والحفل النادر ورأينا قبل ان ندخل قندران واقف يضع فيه العمال بقايا الحفـلات لتلقى من اعـلى الجبـل. التقينـا بالست روزينا فشكرناها كثيرا وصرت صديقها الثاني بعد الحاج سرور طبعا.

وفى صبـاح اليوم الثاني خرجنا من الفندق لكي نتعرف على الاخوة السودانيين الموجودين باسمرا فسألنا اول سوداني قابلناه وعرفناه (بالزى السوداني وهو الجلابية والعمة) وبعد تبادل التحايا سألناه عن رئيس الجالية السودانية؟ ووصف لنا مكان وجـوده واوقف لنا عربتين كروسة لتحملنا الى منزله باسمرا واسمه عبدالرحمن جميل واستقبلنا استقبال حسنا وقدم لنا وجبة الافطار واتصل تلفونيا بجميع تجار وموظفي السـودان هناك واتصل ايضا بالقنصل السوداني وجميعهم حضروا لمقابلتنا وبدأوا فى مناقشة كيفية اقامة الحفلات واستقر الرأى على ان تكون أول حفله بسينما حماسين وباقي الحفلات تكون فى الاندية الليلة وبعض السينمات والفنادق وفى هذه الاثناء حضر الحاج محمد احمد سرور بناء على اتفاق سابق كان بكسلا واشترك معنا فى الحفلة الاولى وقـد نجحت الحفلة نجـاحـا منقطع النظير واستمرت الحفلات مع دعوات الاخوه السودانيين لرحلات نهارية فى الحدائق الغناء على رؤوس الجبال فهذه كانت

من امتع الرحلات النهارية طيلة حياتنا حيث ان الطقس كان جميلا كالعادة وجميع الاخـوة والاخوات والاسر الارتيرية كانوا يتراقصون ويمرحون ويفرحون معنا نحن السودانيين على انغام الغناء السوداني الذى كنا نتبادله انا والعم الحاج محمد سرور مرة اعزف له ليغني وتارة اعزف لنفسي واغني.

واستغرقت رحلتنا عشرون يوما كانت جميلة جدا تنقلنا فيها من نوادي الى حدائق وفنادق اسمرا وتمتعنا فيها متعة جميلة جدا وكنا لا نذوق طعما للنوم الا قليلا في كل المـدة التي قضينـاها في اسمرا وهنا لابد لي ان اتحدث عن العم الحاج محمد احمد سرور. كان الحاج قد سبقنا الى اسمرا في عدة رحلات كان يعمل في التجارة بجانب الفن بين ارتيريا والسودان وكانت تجارته من النوع الانيق كفنه الرفيع فكان يسجل اغنياته في اسطوانات بمصر ليبيعها باسمرا وبثمن مبيوعاتها كان يشتري الاشياء النادر وجودها في السودان مثل البطاطين القطيفة الملونة الراقية والروائح العطرية وبعض ملابس النسـاء ويبيعهـا في العـاصمة لاصدقائه المقربين وكان كل همه ان في هذه الـرحـلات الطويلة الكبيرة ان يُدخل الفن السوداني في رؤوس الاخوة الاريتريين وكانت رسالته عظيمة حقا في هذا المجال وكان في سابق رحلاته التي لم نحضرها نحن يصاحبه في غناءه الشيالين والرق وكانت مهمته شاقة الى ان وصلنا نحن وشاركناه في اداء المهمـة التي كان يتحمل مسئوليتها لوحده. وواصلنا الغناء في مشواره المنشود وبمصاحبة العود خففت كثيرا وسهلت معنى وتفهم الاغنية السودانية. لدرجة انني كنت عنـدما اعزف العود واخرج منه نغمات ايقاعية واضحة المعنى كانت الفتيات يرقصن فيها الرقصات الافرنجية التانجو والمامبو والسمبا والرومبا وكانت هذه الارتام قريبة جدا الى اذهانهن لكنهن لم يتوقعن ان تخرج من هذه الآلة. وكنت عندما اغني اتوقف عن الغناء واستمر في العزف على العود باحدى هذه الارتام وكانت الفتيات يرقصن على الـرتم المعـزوف بايقـاعات تخرج من تحت اقدامهن وكأنها آلة موسيقة اخرى. وقد تمت مدة رحلتنا باسمرا بعد ان نجحنا في مساعدة الحاج سرور في مهمته وكنا بذلك من اوائل الفنانين الذين غرسوا اول شجرة للفن الـسوداني هناك.

مما اسعد الاخوة الاريتريين ان هذه الارتام يعزفها اشقائهم السودانيين وبعد زمن من ترددنـا ظهـر اثـر الفن السـوداني في حياتهم وغناءهم لدرجة انهم سموا بعض مطربيهم ب (سـرور وحسن عطيه).

الفاشر

دعاني نادى موظفى الفاشر لعمل ليالى هناك بواسطة صديقى المرحوم مصطفى خليل وكان نائبا للباشكاتب وسكرتيرا لنادى الفاشر وكونت فرقة صغيرة من الاخوة الفنان ابراهيم الكاشف ومحمد احمد محمد خير «داكو» عازف العود والسر عبد الله عازف للكمان رحمهم الله.

وبدأنا السفر بالقطار من الخرطوم متجهين الى الابيض ومنها باللوارى الى الفاشر.

وقد نشرت هذه الرحلة بالصحف المحلية مما جعلها معروفة لكل المحطات التى نمر بها، وهم استمعوا لنا من خلال اذاعة ام درمان ولكنهم لم يروا شخصياتنا، مما جعلهم يتجمعون فى كل المحطات التى نمر بها وساعد فى ذلك دور عاملى التلفون فى محطات السكة حديد وظهر ذلك جليا عند وصولنا لاول محطة (الحصاحيصا) وكنا ننوى الاقامة بها لمدة يومين مع اصدقائنا وهم الفاضل الشفيع وكان نائبا للمأمور الحصاحيصا والدكتور على ارو وكان صاحب عيادة خصوصية وقاسم محمد الامين وكان نائبا للمأمور رفاعة رحمهم الله. وكان الفاضل وقاسم تقريبا من سننا وكانا ذوى اصوات جميلة وحافظى لكل اغنياتنا بالحرف ونزلنا بينهم مفاجأة، ووجدناهم يتسلون بالكتشينة وكان الوقت اصيلا.

وأرسل الفاضل احد المضامين لكى يحضر الخروف وآخر لكى يجهز الرتائن للاضاءة وثالث لينظم المنزل وفى ظرف ساعة كنا مندمجين وكأننا معهم منذ زمن، وازدحم المنزل بكبار الموظفين وكبار تجار البلد وكانت ليلة ليلاء استمرت حتى الساعات الاولى من صباح اليوم الثانى.

وعلم مفتش المركز الانجليزى بكل تفاصيل تلك الليلة من البوليس السرى المعروف فى عهد الاستعمار بتبليغ ما يحدث ساعة بساعة، واستدعى المفتش نائب المأمور الفاضل واستوضحه واعتذر النائب ومر الموضوع بسلام.

ولكي يتفادى الاخوة عيون الفضوليين والبوليس السرى قرروا اقامة الحفلة الثانية فى مدينة رفاعة بقرية عد الحاج، وذهبنا ببوكس تجارى متخفيين، وعلى بعد ٢ كيلو من القرية توجد قطية تملكهاامرأة فى خريف العمر كانت على معرفة بالاخوان الفاضل وقاسم وارو لمركزهم الوظيفى، وعند وصولنا قامت باكرامنا بذبح عدد من العتان، واستمرت الليلة حتى مواعيد ذهابنا الى البنطون لكى نواصل الرحلة. وان انسى لا انسى ان هذه القطية كان يرتادها الهمباتى المعروف «بامسيكة».

وبعد وصولنا الحصاحيصا ركبنا القطار المتجه الى مدينة الابيض مرورا بمدنى، سنار، كوستى، ام روابة، حيث قابلنا فى مدنى الاخ الكريم الصديق مصطفى كرار على رأس المستقبلين واصر على دعوتنا ولكننا وعدناه بالنزول معه عند رجوعنا وفى ام روابة قابلنا المرحوم الاخ عوض كوبانى الذى دعانا ايضا للنزول معه ووعدناه بالنزول عند عودتنا ولكنه اصر على تكريمنا ونحن على سفر. واستمر القطار الى ان وصلنا مدينة الابيض.

وعند وصولنا لها اضطررنا للبقاء يومين الى ان يتم تشكيل كونفوى لكى يقلنا للفاشر، وهذه كانت فرصة مواتية للاخوة من ضباط وتجار واطباء.. الخ لاقامة حفلات خاصة لا تزال ذكرها باقية.

وبعد تشكيل الكونفوى من اللوارى اخترنا اكثر اللوارى نظافة وجمالا ولحسن الحظ كان سائقه رجل يحب الفن. كما تصادف ان ركب من ضمن الركاب الشاب طالب الثانوى «كلية غردون» عثمان عوض الله الذى صار اخصائى امراض الكلى، وكان سبب سفره للفاشر هو دعوة خاله احد كبار ضباط الجيش بمدينة الفاشر. وكانت الرحلة تقدر بحوالى [خمسة أيام] وكان السفر ليلا والراحة نهارا للنوم وطبخ الاكل، فى مقاهى منتشرة بطول الطريق وهى تجهز الاكل والشاى والقهوة للمسافرين. وايضا تقوم بتأجير العناقريب لنومة النهار «بمبلغ عشرة قروش»، اما السواقين فكانوا امراء زمانهم وذلك لما يملكون من مال وجاه يسيطرون به على التجارة والمجالس الرسمية والخاصة فى غرب السودان.

وبعد خمسة ليال من المشقة والبرد القارص وصلنا مدينة الفاشر، وقد ظهر اثر هذه المشقة فى اننى فكرت فى الرجوع بالطائرة قبل ان اسلم على من استقبلونا.

وعادة تخرج كل المدينة لاستقبال الكونفوى الذى يقل كل ما تحتاج اليه مدينة الفاشر من مستلزماتها، وفى تلك اللحظة قابلنا الاخ مصطفى خليل رحمة الله عليه،

وكـان رجلا عملاقا مثقفا قويا تهابه الرجال وتدرج فى الخدمة المدنية من كاتب الى باشكاتب الى ان وصل درجة محافظ مديرية «ولم تحدث مثل هذه السابقة فى تاريخ السودان» الذى استقبلنا استقبالا حافلا واستضافنا بمنزله.

وبعد ذلك عقدت عدة اجتماعات لتنظيم ثلاثة حفلات رسمية واخرى خصوصية لكبـار الموظفين، وكان الاتفاق ان نأخذ ٧٠٪ وال ٣٠٪ لتجهيز الحفلات، وكان عرضا سخيا قل ان يوجد فى اى اتفاق، وقضينا مدة ١٥ يوم حافلة بكل انواع الكرم والترف. ولا يمكن ان تتصور عزيزى القارىء حسن المعاملة التى حظينا بها وقل ان توجد فى مثل هذا الزمان.

ولا يفوتنى ان اقول كانت مدينة الفاشر زاخرة بكل انواع الخضر واللحوم.

وفى فترة اقامتنا بالمدينة شاهدنا كل انواع الرقصات القبلية والنقارة وكانت هذه الرحلة رحلة العمر. الا اننا عندما هممنا بالرحيل حملناهم هم السفرية الشاقة ولكن حمدا لله وصلنا الخرطوم بالسلام.

كشف الثقلاء لمصطفى خليل

ابتـدع الاخ المرحـوم مصـطفى خليل هذا الكشف لكى يكون مسألة ترفيهية ومداعابات فنية المقصود بها ملء الفراغ فى الوقت الذى لم تكن فيه احزاب سياسية او سياسة بالمعنى المفهوم لوجود المستعمر الانجليزى بل كان كل اهل الفكر السودانى يتجهون نحو السياسة المصرية والاحزاب المصرية وفعلا كان شباب ذلك المعهد مولع بالعمل السياسى والادبى والاجتماعى ولكن على خفيف خوفا من بطش المستعمر ولذا نبعت فكرة كشف الثقلاء فى رأس الاخ مصطفى خليل ليبدأه دائما وفى كل صفحة باحد الخواجات المتعجرفين المتكبرين من المستعمرين مثلا يقول الاخ مصطفى انا اكره القرع ومستر فلان الباشكاتب والقرع كان من ضمن الخضروات الشائعة لقلة الخضروات ايامها وصارت طعمه مسيخا بالنسبة لاكله يوميا ومستر فلان وملاح الورق مثلا ولكن الحيلة لم تنجـح واكتشف الانجليز اللعبـة واستجـوب مصطفى خليل واستطاع مصطفى وهو كان اكبر مراوغ ان يخرج من هذا المأزق بجلده، ولكى لا تتضح الحقيقة استمر فى هذا الكشف بس هذه المرة كانت باصدقائه السودانيين من

العاصمة المثلثة فقط بمعنى كلما تقرر اى شلة بأن فلان الفلانى أو واحد من الشلة بدأت تظهر عليه علامات الثقالة يرسل خطاب ممهور بامضاء الشلة ويرسل الى الاخ مصطفى بجميع الملاحظات التى تثبت ثقالة العضو الجديد، ويستلم الخطاب الاخ مصطفى ويجمع لجنة من اقرب الاقربين اليه ويقرروا اذا كان الرجل ثقيلاً ام لا وبالتالى يرسل للعضو الثقيل جواب وكأنه صادر من جهة رسمية يخطرونه بأنه ثقيل أم لا بعد شرح كل القضية والاصحاب الذين وجهوا اليه الاتهام وفى اغلب الاحيان تثبت جريمة الثقل عليه ويدرج بالكشف ولا يمسح من الكشف الا بوليمة كبيرة مستوفية شروط الحضور وعادة تكون هذه الوليمة عبارة عن قيلة بأى جنينة من جناين زمان نهارية او سهرة فى منزل ملائم للسهرة.

الباب السادس

الاستقلال ومابعده



آخر حكام السودان من البريطانيين

إستقلال السودان

فى يوم ١٩٥٦/١/١ تجمعت كل جماهير الاحزاب، السياسيون والموظفين والعمال وافراد الشعب السودانى من كل الفئات، حدادين، نجارين، خياطين، بنايين، مزارعين، من العاصمة المثلثة فى ميدان أمام القصر الجمهورى الحالى وحضرت جماهير الحزبين الكبيرين حزب الوطنى الاتحادى وحزب الأمة والاحزاب الاخرى



السيدان عبدالرحمن المهدي وعلي الميرغني عند دخولهما



حواء ترتدي العلم في ١/١/١٩٥٦م

وكان التجمع رهيباً وكانت ضربات قلوب جميع الواقفين تكاد تسمعها واحضر العلم السوداني الذى كان اول علم سوداني يحمله الشعب السوداني ، وكانت لحظات رهيبة هتفت الجموع وعلت الاصوات وزغاريد النساء وانهمرت الدموع ، دموع كل الشعب والعلم محمول الى المنصة يتقدمه الزعيمان المناضلان السيد اسماعيل الازهرى عن حزب الوطني الاتحادي وبجانبه السيد محمد احمد محجوب عن حزب الامة وكان علم الاستعمار اليونين جاك بالوانه الزاهية يرفرف ووقف الاستاذان الازهرى ومحجوب يحملان العلم امام مندوبى صاحبة الجلالة الملكة لينزلوا العلم البريطاني ليحل محله العلم السوداني وفعلا كانت لحظات تساوي سنين رجفت لها القلوب وعلت الهتافات الله اكبر ولله الحمد الله اكبر ولله الحمد وينزل علم الانجليز بأيدى الانجليز انفسهم



الاحتفال المقام بمناسبة الاستقلال ووداع الحاكم العام

وأيضا العلم المصرى . وبهدوء شديد ينزل العلمين الى الارض وفى نفس اللحظة رفع العلم السودانى بنفس الهدوء الى العلالى الى اعلى رأس السارية ووصل ورفرف وعلت الهتافات الله اكبر الله اكبر الله اكبر والحمد لله كثيرا وبكى الزعماء وبكت الجموع ونزلت دموع الفرح لقد كان يوماً عظيماً ولن يتكرر بالطبع .

فقد كنا نتطلع كثيراً الى يوم الاستقلال اما نحن الغنائين وكنا لا نتعدى اصابع اليد ، احمد المصطفى وأنا وحسن سليمان وعبدالحميد يوسف وابراهيم الكاشف نلتقى فى كل شىء فى رأينا خصوصاً فى حكاية استقلال السودان بالرغم من انتمائنا لاحزاب مختلفة ولذلك كنا نتغنى بالاغانى السياسية المغلفة مثل «السودان يا بلدنا نحن الفيك اتولدنا الجايين بعدنا يلقوا الخير فيك أدنى وهى للشاعر على نور المهندس شاعر المؤتمر وفى الفؤاد ترعاه العناية للشاعر المرحوم يوسف التنى .



وداع الجيوش البريطانية والمصرية فى يوم الجلاء

والاغـاني الشعبية واكثـرهـا مثل يا غريب يلا لى بلدك وكنا نشارك في الليالي السياسية وافتتاحها بالاناشيد الوطنية . . وكنا نطمح في تقدم السودان وقيادته لافريقيا غير ان ما تراه اليوم من تردى وخراب وفوضى لم يكن يخطر لنا على بال.

عندما خرج المستعمر من السودان لم يترك الخزائن فارغة كدأب كل حكومة من الحكومات الوطنية فقد خلف اكثر من ٣٥ مليون جنيه .

اللهم احفظ للسـودان وحـدته وجنبه المزالق وعجل برفاهية شعبه الطيب انك السميع المجيب.

أطول واضخم رحلة فنية لجنوب السودان

في ديسمبر ١٩٥٩م وبعد شهر واحد من افتتاح المسرح القومي بامدرمان شكلت الاذاعة اضخم بعثة فنية في تاريخها لتطوف كل الاقاليم الجنوبية ومراكزها في رحلة استغرقت ٤٥ يوما قطعت البعثة خلالها ٦٦٠٠ ميلا سيرا بالعربات ، وكانت البعثة تضم حوالي ستون فردا من الفنانين والممثلين واوركسترا الاذاعة وفرقة موسيقى القوات المسلحة بالاضافة الى اداريين من الاذاعيين وسرية حراسة وقيادة من سلاح الخدمة .
وقد بدأت البعثة مسيرتها من دار الاذاعة بامدرمان حيث قضيت اول ليلة بالمسرح القـومي لتبدأ مسيرتها في الرابعة فجر اليوم التالي الى الشجرة ثم جبل أولياء حيث انضمت اليها فرقة موسيقى القوات المسلحة وسرية الحراسة والقيادة . ومن ثم بدأت اضخم و أطول مسيرة اذاعية .
وضمت البعثة :ـ

من الاداريون المـرحوم محمد عبدالرحمن الخانجى المراقب العام للاذاعة حينئذ والاستاذ محمد خير عثمان المشرف على المسرح القومي ورئيس البعثة والاستاذ عبدالله رجب صاحب ورئيس تحرير جريدة الصراحة . . والمراسل الرسمي للجريدة والاستاذ خلف الله احمد نائب رئيس البعثة والفنانين حسن عطيه صلاح ابن البادية صلاح محمد عيسى محمد احمد عوض ـ الممثلون الفاضل سعيد عثمان حميده محمود سراج السر احمـد قدور اسـماعيل خورشيد منلوجيست الفنـان الكبيـر الـراحل «بلبل» .
راقصون : بامبو ـ ابراهيم افريكانو ـ طباخ عبداللطيف سائقى الكنفويات كرسنى ، عباس الطيب ، على مساعد ، شتيوى كمساعد ـ اذاعة محلية في واو وجوبا ـ المهندسين ـ خلف الله والشاذلي عبدالقادر ورفاقهم .

وقد ترأس اوركسترا الاذاعة في البعثة الاستاذ بشير عباس بينما ترأس الرائد عوض

محمود موسيقى الجيش وبعد رحلة بالعربات من الخرطوم لمستمرت ٤٨ ساعة وصلت البعثة الى ملكال ثم واصلت مسيرتها عن طريق بور، الى واو عاصمة بحر الغزال حيث تبدأ البعثة نشاطها في طوافها الفني على جميع المديريات الجنوبية.

وفي اول أيام البعثة في واو تمت عسكرتها اذ ارتدى جميع افرادها الزى العسكرى الذى كان يحمل شعار القيادة الجنوبية وكان ذلك الاجراء ضرورياً لسلامة افراد البعثة اذ انهم وطوال فترة الرحلة سيكونون في ضيافة القوات المسلحة كما ان اقامتهم خلال الرحلة ستكون في عمليات القوات المسلحة اذ ان الاشتباكات العنيفة بين الجيش وقوات التمرد الاولى كانت في عنفوانها.

وكانت البعثة قبل مغادرتها الخرطوم قد زودت بالمتاع العسكرى والذى يسمى «النمرة العسكرية». وصرف لكل افراد البعثة وكان يتكون من سرير سفرى، بطانيتين صوف وناموسية.. الخ كما كانت هناك عربات «تعيينات» احتياطية تتكون من المعدات والعدس والارز والدقيق والشاى والسكر.. الخ... يرافقها طباخ مدني عين خصيصاً لهذا الغرض.

وشهدت واو خلال تلك الايام تجمعا عسكريا ضخما ضم كل القيادات العسكرية في الجنوب وجميع الحكام العسكريون هناك اذ انه من المقرر ان يصل الى واو الرئيس الراحل ابراهيم عبود حيث يلتقى هناك بالقيادات العسكرية وقضت البعثة اسبوعها في واو تقوم بنشاط مكثف فهناك سهرات غنائية تمتد الى ما بعد منتصف الليل واذاعة متنقلة لتغطى مساحة خمسون كيلومترا حول واو، بينما الاداريون منهمكون في اجتماعات متصلة مع القيادات العسكرية وحكام المديريات ممن ستزور مناطقهم حيث وضع برنامج دقيق للتحرك من مكان لاخر وموعد الوصول محدد بالساعة والدقيقه والغريب والمدهش حقا في برنامج هذه الرحلة الانضباط الدقيق في المواعيد فلم يحدث ان غادرت البعثة موقعا والوصول الى موقع اخر دون ان يكون ذلك في الموعد المحدد تماما رغم طول الطريق وصعوبة مسالكها احيانا، عين المرحوم اللواء الطاهر عبدالرحمن قائد القيادة الجنوبية ليشرف شخصيا من مقر قيادته بجوبا على التحركات اليومية للبعثة وخط سيرها بواسطة اللاسلكى مع وحداته العسكرية المختلفة..

ولابد لنا من التوقف لحظة للتحدث عن اهداف هذه الرحلة التى خطط لها اللواء (م) محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات انذاك فقد جمعت عدة اهداف تحققت جميعها، كان الهدف الاول هو الترفيه عن جنودنا في مواقعهم وشمل ايضا المطربين في عواصم المديريات اما الهدف الثانى فهو بث فنون الشمال لاخواننا الجنوبيين بواسطة



ليلة من ليالي اسمرا



رحلتي الى جنوب البلاد

الحفلات التى تقيمها البعثة وتبث ايضا عن طريق الاذاعة المتنقلة المصاحبة للبعثة للمناطق المجاورة، اما الهدف الكبير الاخر فهو تعرف اعضاء البعثة على الفنون الجنوبية المختلفة وقد تحقق هذا الهدف جليا عندما وصلت البعثة الى مدينة [ياى] وهناك اكتشف الفنان الشعبى القدير (يوسف فتاكى) الذى عرف فيما بعد هو وفرقته فى جميع انحاء السودان باغنيته الوطنية الشهيرة :ـ

ياى بلدنا . . . . سودانا وطنا . . . وكلنا اخوانا

وغادرت البعثة [واو] بعد مهرجان شعبى عامر استمر لاسبوع كامل حضره جميع سلاطين بحر الغزال وشاهدته مجموعات قبائل بحر الغزال التى توافدت على العاصمة (واو) بشكل لم يسبق له مثيل حسبما رواه المسئولين بالمدينة . .

وبدات البعثة جولاتها بزيارة مدن الزاندى، امنزار، يامبيو، ومريدى ثم ياى وحطت الرحال فى عاصمة المديريات الجنوبية (جوبا) وهناك افترق عنا المرحوم الخانجى مراقب الاذاعة عائدا الى الخرطوم وكان موكلا من اللواء محمد طلعت فريد لمرافقة البعثة فى المرحلة الاولى للاطمئنان على مسيرتها وشهدت جوبا كرصيفتها واو مهرجانا استمر طوال الاسبوع وتقاطرت صوب المدينة افواج مواطنى الضفة الشرقية والغربية وانتشرت اماكن المهرجان حتى شملت دار سينما جوبا التى فتحت ابوابها بالمجان تستقبل افواج المشاهدين من الاخوة الجنوبيين لمشاهدة عروض البعثة الذى فاق تعلقهم بفنانيى اخوانهم فى الشمال كل الحدود المتوقعة لدرجة ان شعار البعثة وهو عبارة عن اغنية وطنية الفتها البعثة فى بداية الرحلة وكانت تؤديها فى مطلع كل حفل ـ اصبحت اغنية شعبية يرددها الاخوة الجنوبيين فى كل مكان فى الشارع فى الاسواق فى السينما، حتى فى الغابة سمعنا لحنها ونحن نعبر القرى خلال سفرنا وكان لهذا التلاحم فرصة جيدة يلتقى فيها الشاعر والملحن والفنان فكم من اغنية جديدة ظهرة خلال هذه الرحلة ولا عجب فقد كان ضمن جناباتها المؤلف الشاعر، والملحن الموسيقار، ثم الفنان المطرب، .

كم يتمنى الانسان الان وبعد هذه الفترة الطويلة ان تعود نشهد مثل التلاحم بين مواطنى البلد الواحد كما شهدناه ولمسناه نحن فى ومن جوبا اواخر الخمسينات واوئل الستينات . . . ومن جوبا مسار الركب، ، ، ،

وتمضي الرحلة الفنية في أطول رحلة عرفها الفن الغنائي في ربوع الجنوب ـ وتزور البعثة أعتى مواقع التمرد الأول وأعني بها جبل «أكاتوس» وهناك التقت البعثة بكوكبة الأبطال الذين يحمون الموقع يقودهم آنذاك الصاغ (الرائد) أنس .

ومن المواقف الطريفة التي حدثت لي عند وصولنا هناك فعندما نزلنا من العربات كنا محملين بالأتربة والغبار وكان علينا ان نبدأ حفلنا الغنائي فوراً وقبل ان يحل الظلام حتى نتجنب الاضاءة ليلا فنكون هدفاً سهلاً لقوات التمرد التي كانت تعسكر في الجانب الآخر من الجبل. وسألت أحد الجنود من الذين استقبلونا مرحبين ان كان هناك بعض الماء لأغسل وجهي قبل الصعود للغناء، وغاب الجندي لوهلة قصيرة ظهر بعدها «أنس» ضاحكا ثم قال موجها حديثه الي: يا أبوعلي هنا مافي موية، والموية الموجودة للشراب وبالقطارة - وأردف ضاحكاً: - نفض وجهك يا أبوعلي واطلع المسرح - وانفجرنا ضاحكين وزارت البعثة بعد ذلك اقليم أعالي النيل لتعود بعدها الى الخرطوم بنفس العربات.

وفي طريقي اختتمت نشاطي بآخر حفلاتها الغنائية بمدينة «الرنك» وكانت ليلة الوداع بحق، فقد تجلى يومها أعضاء البعثة بتقديم أروع انتاجهم ومع ذلك كانت علامات الحزن ترتسم على الوجوه، فقد حلت لحظات الفراق بعد ان ربطت بينهم هذه الرحلة الطويلة برباط قوي جعلهم يتغلبون على كل ما لاقاهم من متاعب.

وفي الساعة العاشرة من صباح ايام شهر يناير عام ١٩٦٠ دخل الى مبنى الاذاعة بامدرمان كانفوي من العربات يحمل في مقدمته علم القيادة الجنوبية ونزل منه اعضاء البعثة يرتدون الزي العسكري الذي يحمل شارات القيادة الجنوبية، وبين مظاهر الفرحة والعناق عادت البقعة الى دارها الأم.

ومن الطرائف التي لا تنسى عن تلك الرحلة انه عندما وصلنا الى يامبيو في المديرية الاستوائية أقامت ادارة البعثة بمنزل مفتش المركز، وكان هناك المرحوم الخانجي ومحمد خير عثمان وخلف الله احمد والاستاذ عبدالله رجب وشخصي - وأعطيت بعض ملابسي التي سأظهر بها على المسرح للخادم ليقوم بكيها. وفي المساء عندما كنت استعد للذهاب للحفل اكتشفت ان البابيون (الكرافتة) التي سأظهر بها في الحفل قد حرقت تماماً، ونشبت بيني وبين الخادم وهو من أبناء المنطقة وكان لا يجيد العربية مناقشة حادة فقد وضعني في موقف حرج اذ كيف يمكن ان أظهر في هذا المسرح خصوصاً ان الحفل سيؤمه عدد كبير من المواطنين. وتدخل الاخوة اداريو البعثة لفض النزاع ومن ثم توجهت للمسرح حانقا، بينما بقي الاخوة الاداريون بالدار في محاولة لتهدئة الخادم الذي كان يظن بحكم عدم إجادته للغة العربية بأنني قد أسأت اليه.

وما أن أديت وصلتي بالمسرح قفلت عائداً للدار، والتي لم تكن تبعد عن مكان الحفل كثيراً. وبمجرد دخولي الدار وكان الوقت يقارب منتصف الليل فوجئت بالخادم يقف أمامي غاضبا وعيناه تنذر بالشر وتوجهت الى غرفتي وأنا غير مطمئن ولم يكن

بالمنزل نور كهربائي وانما كانت هناك رتينة واحدة مضيئة بالصالة كانت كافية لاضاءة الغرفة التي كنت أقصدها ببصيص من نزر وفجأة وبينما انا أشرع في استبدال ملابس الحفل اذا بالرتينة يقل ضوؤها. وبالطبع اتجه تفكيري كله الى الخادم وانه شرع في الانتقام مني. وتلمست طريقي الى سرير الاخ الخانجي الموجود بالغرفة اذ انني كنت اعلم بأنه يحتفظ ببندقيته التي كان يحملها معه من الخرطوم للصيد بجوار سريره، وفعلا وجدت البندقية وقمت بتعميرها وقد كان الخادم يراقبني من خارج النملية، وهنا انطفأت الرتينة تماماً. وجلست في وضع استعداد وكانت واجهة الصالة عبارة عن نملية. ومكثت في ذلك الوضع مدة خمسة وعشرين دقيقة وكنت خائفاً ومستعداً لاطلاق النار في أية لحظة اذا سمعت أي صوت من الخارج. وفجأة سمعت اصواتاً بين الغابة والمنزل وخطر ببالي ان الخادم استعان ببعض معارفه وعاد للانتقام مني بعد ان عرف أنني بالمنزل بمفردي.

وقررت أن أطلق النار على القادمين بمجرد اجتيازهم للغابة، وكان الظلام دامساً، وفي اللحظة التي ظهرت فيها الأشباح وبينما انا أستعد لاطلاق النار عم المكان ضوء كان لعربة قادمة. فتمهلت وتمهل القادمون ووقفت العربة أمام المنزل ونزل منها المرحوم الخانجي ولم يكن القادمون الذين كنت أنوي إطلاق النار عليهم سوى الاخوة محمد خير وخلف الله احمد.

وكانت النكتة التي ظللنا نضحك كلما تذكرناها طوال فترة الرحلة.

ابو المسرح القومي

لن ينسى تاريخ الفن في السودان دور اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات في عهد الفريق عبود في انشاء المسرح القومي، فقد كان هو صاحب فكرة إنشائه وهو الذي كرس كل وقته وجهده لبناء وتشييد المسرح القومي في فترة وجيزة لم تزد عن بضعة أشهر. وكان الرجل يحضر الى موقع المسرح في السادسة صباح كل يوم ويبقى مع العمال والبنائين حتى الثامنة صباحاً حيث يتوجه الى مكتبه ليعود مرة اخرى عند الظهيرة ويبقى معهم حتى وقت متأخر من الليل، الى ان اكتمل المسرح وبدأ نشاطه. وللمسرح القومي قصة..

ففي مبنى الاذاعة القديمة ـ كان الاستاذ علي شمو يقيم سهرة منوعات شهرية تذاع حية وكانت قريبة الشبه من السهرة التي يقدمها الاستاذ جلال معوض من الاذاعة المصرية آنذاك «أضواء المدينة».

وكـان حضـور سهـرات الاستاذ على شمو من المواطنين بدعوات مجانية توزعها الاذاعة، وعندما انتقلت الاذاعة الى مبناها الجديد كانت هناك ساحة كبيرة اتاحت للاذاعة التوسع فى سهراتها الشهرية حيث كان قسم البرامج يقوم ببناء مسرح خشبى فى مكان المسرح القومى الحالى وكان يشرف على المسرح والحفلات الاساتذة محمد خير عثمان والمرحوم عثمان على حسن وسليمان داود وخلف الله احمد، وكان الاقبال الجماهيرى على هذه الحفلات المجانية منقطع النظير.

وعندما جاءت حكومة الراحل الفريق إبراهيم عبود وعين اللواء طلعت وزيراً للاستعلامات كان يحرص على حضور هذه الحفلات ولم تلبث الفكرة ان نبتت فى ذهنه فشرع فى تنفيذها على الفور. وهكذا ظهر المسرح القومى للوجود ليصبح قلعة ومنارة للفن الغنائى فى السودان وللاستكشافات الفكاهية. وظهرت للوجود شخصيات توراجر وأبوقبورة وشخصيات الفاضل سعيد النمطية، وكان اللواء طلعت حريصاً على متابعة أنشطة المسرح المختلفة متابعة دقيقة بل كان رغم مشغولياته الكثيرة والمتعددة يشرف عن كثب على كل صغيرة وكبيرة وكانت مسودة برنامج الحفل تعرض عليه سلفاً قبل الحفل بعدة أيام. واذكر فى إحدى الحفلات انه انتقل من كرسيه فى الصالة الى غرفة مدير المسرح وكان وقتها الاستاذ محمد خير عثمان واقترح عليه تقديم فقرة مسابقة غنائية بين الرواد المتفرجين وعندما أبدى الاستاذ محمد خير دهشته لهذا الاقتراح المفاجىء، شرح اللواء طلعت اقتراحه بسؤاله لماذا نجرى مسابقة للاصوات بين المتفرجين؟ لا شك ان بين هذا الجمع صوتاً غنائياً نستطيع اكتشافه الليلة. واتفق اللواء طلعت مع محمد خير على ان يكون ترديد «يا قائد الأسطول» هو موضوع المسابقة.

وتقدم ١٠ من رواد المسرح للاشتراك فى المسابقة. وفى تلك الليلة أعلن عن مولد فنان جديد أثرى الساحة الفنية بعدها بصوته الساحر الجذاب وهو الفنان بادى محمد الطيب وهو واحد من المتسابقين العشرة.

واللواء طلعت فريد ايضاً صاحب فكرة فندق المسرح القومى «مبنى التلفزيون حالياً» وكان مستوى الخدمات فى ذلك الفندق على نفس مستوى خدمات الجراند أوتيل. وكان بالاضافة الى الفرق الزائرة يؤمه المواطنون مساء حيث خدمات حديقة السطح، وفى عهد طلعت فريد ولد التلفزيون فى شكل هدية من ألمانيا الاتحادية، والرجل ايضا صاحب فكرة الرحلة الفنية الى الجنوب والتى وردت تفاصيلها فى أحد فصول هذا الكتاب.

وطلعت فريد عرفت عنه مواقفه الانسانية فى صورها المتعددة، فى احد المرات



الاحتفال بمناسبة اهداء الصين ستارة للمسرح القومي



الرائد التاج حمد

كتب له شاب من الجريف فى طريقه للزواج، كتب له يحكى عن الصعوبات المادية التى واجهته الى ان اكمل متطلبات الزواج الا أن أهل العروس أصروا ان يحيي زفاف بنتهم الوحيدة الفنانان احمد المصطفى وحسن عطية وانه لا يملك لذلك سبيلا. . فما كان من اللواء الا ان حول الرسالة الى الصاغ (الرائد التاج حمد) مراقب الاذاعة، فقال له اقرأ هذه الرسالة فقرأها التاج وقال له اللواء: هل يمكن ان تنفذ هذا الكلام؟ فقال نعم، سلمه الرسالة وقال له نفذ. فدعانا السيد التاج حمد أنا والفنان احمد المصطفى وطرح علينا الموضوع وقبلناه فرحين مستبشرين وفعلاً قمنا بإخطار العريس وحددنا له اليوم وطلبنا منه أن يحدد لنا المكان بالضبط. واستعدينا فى اليوم المحدد أنا وزميلى احمد المصطفى والعازفين لاقامة الحفل. واستعد مدير الاذاعة بالميكرفونات وجهز مسرحاً متنقلاً وكشافات الاضاءة وثلاثة خرفان وكاميرات تصوير وجميع مستلزمات الحفل وذهبنا الى القرية واستقبلنا استقبالا عظيما وسهرنا بالعروسين وضيوفهم حتى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى. وشهدت الجريف حفلا رائعا لم تشهده من قبل.

أطال الله عمر اللواء محمد طلعت فريد وجزاه كل خير لما قدمه لبلده ولمواطنيه وللفن بصفة خاصة. والتحية موصولة الى العميد الركن التاج حمد.

فرصة ضاعت

● فى أوائل الخمسينات وأنا أسعى حثيثاً فى حياتى الفنية واخذت شمس شهرتى ومجدى تملأ الآفاق، أرسل لى الرحالة السودانى أحمد حسن مطر من امريكا عن طريق وكالة حكومة السودان بالقاهرة التى اتصلت بدورها بمكتب الاتصال العام بالخرطوم فالاذاعة حيث عنوانى لتوصل لى رسالة مطر لى وكانت رسالة مختصرة جداً، فحواها انه سمع بان هناك فتاة اسمها سعدية الفوادية ترقص وتغنى وتعزف على العود وطلب منى ان اتصل بها لدعوتنا معاً فى جولة فى امريكا الشمالية والجنوبية ينظمها هو لنغنى للجاليات العربية هناك.

ولما لم تكن لى معرفة سابقة بالرحالة احمد مطر كما اننى تخوفت من تلك الرحلة ظاناً بانه غير جاد ولما كان السفر الى اوربا لم يخطر لى على بال فى ذلك الزمان فقد رأيت فى عرض السيد مطر ضرباً من الخيال وعلى سبيل التندر، نقلت فحوى الرسالة الى سعدية فقالت: «هى امريكا دى وين؟!! فوديت والله سؤال وجية. . ونسيت

موضوع الرسالة تماماً على انني لم اشعر بانني قد اضعت فرصة ذهبية الا حينما عاد السيد مطر للسودان نهائياً بعد الاستقلال ونشر مطر مذكراته المثيرة في اوائل الستينات. وقرأت فيها الجولة المثيرة التي نظمها لمغنية زنجية من امريكا الوسطى بعد ان فقد الامل في اتصالنا به واسمها «أسترا» وطاف بها كل امريكا الشمالية والجنوبية فجنى من ذلك مالا وفيراً اما هي فبجانب ماجنته من مال فقد اصابت شهرة ومجداً فعضضت بنان الندم على ما فاتني في امريكا وربما استقريت في البرازيل مع مطر حيث كان يعيش وغنيت خدارى بالاسبا نيولي.

الباب السابع
الأغانى

فى الفؤاد

للمرحوم الشاعر يوسف التنى

فى الـفـؤاد ترعـاه الـعـنـايـة   بين ضلوعى الـوطـن العـزيـز

***

لعـداه بسـوى الـنـكـايـة   وان هزمـت بلمـلـم قوايـا
غير سلامتـك ما عنـدى غايـة   انشاء الله تسلم يا وطنى العزيز

***

مرفـعـينـين ضبـلان وهـازل   شقـوا بطن الاسـد المـنـازل
نبقى حزمـة كفـانـا المهـازل   ونـبـقـى درقـة وطـنـا عزيـز

***

ليـه ما ارعى الـوطن الـرعـانى   والـدهـاه اشـيـلو واعـانـى
الشبـاب والشيـب شجعـانى   قالـوا نفـدى الـوطن العـزيـز

***

شقـنـا فيـهـم جواب فيـاق   والـبـطـروا يسـابقـوا السـواقى
ما مراد عفـارم عواق   غير يمـجـد وطـنـه الـعـزيـز

***

من حلوق الـريـف لى سدودهـا   الـبـلاد معـروفـات حدوده
سودانتـا جبهـة النبقـالـه خوزة   ونـبـقى درقـة وطـنـنـا عزيـز

***

طبـيـعى اعشق صيـده ورمـالـه   ما بيـيـعـه واقـول مالى مالـو
ما بكـون آلـة الـبـى حبـالـو   دايـر يكتسف وطـنى العـزيـز

عندي وطني بيقضيلي حاجة ... ما بسببه واروح لي خواجة
يغني بلده ويحيجنا حاجة ... لعدوك يا وطني العزيز

****

بديني افخر واعتز وابشر ... ما بهاب الموت المكثر
وما بخش مدرسة المبشر ... عندي معهد وطني العزيز

في الفؤاد ترعاه العناية

للشاعر المهندس الدبلوماسي المرحوم يوسف التني يصف فيها قوة المرفعين - ضبلان - هازل - الشقوا بطن الاسد المنازل فهي وطنية سياسية كاملة الدسم اعطاني اياها بعد تخرجه من المدرسة مباشرة وكان يجاري فيها احدى الحان اغاني الخليل.

بني الاسلام

بني الاسلام يا وفودنا ... قوموا نحيي المجد القديم

***

ما تلاشت وضاعت جهودنا ... وما اختفت وانتسخت عهودنا
لما كان الاسلام يقودنا ... تحت رايته انتصرت وفودنا
اقرأ الآيات هن شهودنا ... كيف بنرضي الاوهام تسودنا
قوموا نوفي لله عهودنا ... دينا دين الله القديم

***

بطلوا التحييز في الدواير ... قوموا هبوا وصفوا الضماير
احيو واجب الدين والشعائر ... انقذوه وزيحوا الستائر
دينا دين الحق والبشائر ... ما تحرف على اصله ساير
كان قبيل في مهده ساير ... كان مثال للعز والسراير
ما اضمحل وما كان زميم

***

انصروا الاسلام شيلوا رايته ... فوق رؤوسكم قامت بدايته

بثوا حول العالم دعايته | لما توصل آخر نهايته
صارخ الاسلام من رزايته | كل ساعى الىرشد سعايته
المجد لا بد يلقى غايته | فى ضمان الله ورعايته

تلقى منه النصر العظيم

***

انت سيد الكون يا الاهى | انت ربى ومولاى وجاهى
انت فينا الأمر وناهى | فيك واضع املى ومباهى
تعلم الاسرار مالك ساهى | اجلو عن كاهلنا الملاهى
كى نرى الاسلام مجده زاهى | واجللن عقدى وفك فاهى

واجعل التنزيل لى نديم

بنى الاسلام

ابراهيم النور سوارالدهب

يبدأ الشاعر قصديته الدينية مستنفراً وعود الاسلام وبنيه ليعيدوا ما كن للاسلام من مجد وسؤدد ثم يذكرهم بأنه لم تضيع جهودهم السابقة وعهودهم التليدة عندما كانوا متمسكين بكتاب الله القويم الذى لم يكن يوماً مهزوماً ولا كان زميماً.

وايضاً يدعوهم لكى يملأوا العالم بقوة الاسلام السابقة والحالية على ايديهم وعلى كل ساع ارشاد سعايته وكل مجسد فى هذا السبيل سيصل بإذن الله الى ما يصبو اليه.

ويختتم الشاعر قصيدته بابتهالات وتعظيم لسيد الكون وخالقه واضعاً كل كل آمال الشعوب الاسلامية وآمالها بين يدى الله لكى يعود الاسلام كما كان واقوى ويدعوهم اخيراً لكى يكون كتابه الكريم خير جليس ونديم.

ست العربية

للمرحوم الشاعر بشير عبد الرحمن

دى صدفة فى الجمال شغلت علينا البال
والليلة كانت عال خلبت صديقنا (جمال)

مشينا قصر النيل — بين الرياض ع النيل
زولنا الزراعي عليل — والحب ده شيلو تقيل
داك ابو الاشبال — سعدنا في التمثال
دا الدوخ الابطال — وجاب لينا الاستقلال
طلبوه للتوظيف — قالوا لو سبب الريف
لكن حبيبي عفيف — ما بيرضى بالتزييف
ما بيرضى بالتزييف — لو كان نفر في رديف
فاروقنا فخر الجيل — قائد شباب النيل
رائدنا ما لو متيل — وعتمورنا ده شغلو تقيل
عربيتك الصيلون — خضرا وجميلة لون
بتسابق السيلون — بتشيلنا غير نولون

ست العربية

للشاعر الطالب بشير عبدالرحمن

يقال ان الطالب بشير عبدالرحمن هرب من الاستعمار في السودان الى مصر ليتلقى حظا اوفر في التعليم وفعلا التحق بكلية مشتهر الزراعية، واستقر وفي اثناء دراسته وصلت جماعة من الاخوة السودانيين في اجازة سنوية عادية الى القاهرة وكانوا يعلمون بان الشاب الطالب بشير موجود وفكروا بالاتصال به للتعرف على حالته الدراسية والصحية والمالية ووجدوه بخير وعافية لا ينقصه الا رؤية الوطن والاهل فقالوا له لماذا لا تعود الى السودان ولو في اجازة وكان يدور هذا الحوار في مقهى الجمال بشارع عدلي ولم يزل هذا المقهى والحلواني موجود الى الان وفي اثناء وجودهم وحوارهم مع الشاب بشير وكان من بين الاخوة محي الدين جمال ابوسيف، مرت بالشارع فتاة ويقال انها من بنات زوات ذلك العصر وكانت تقود عربتها بنفسها واسترعاها منظر الاخوة الملونين اوقفت عربتها ونزلت وكانت محجبة واظنها كانت اعلامية وحيتهم وحيوها وقالت لهم من اين انتم فقالوا لها من السودان وبعد ان عرفت هويتهم . .

طلبت منهم ان تفسحهم في شوارع مصر وطبعا وافقوا جميعا ومرت باول شارع وكان قصر النيل بتمثال سعد باشا بكبري قصر النيل وكان الشاب شاعر مبتدئ انفعل بهذه الرحلة وجمالها وتكلم عن نفسه وعن الملك فاروق وسعد واخوانه الذين

طلبوا منه الرجوع الى السودان والكفاح من الداخل ولكنه اصر على مواصلة دراسته واتمها وكانت ايام زمان ومطربى زمان وسفرهم لمصر وتسجيل اغانيهم وكان من بينهم الفنان الراحل الشاب ابراهيم عبدالجليل وكانوا يسافرون بالقطار وقابلهم الشاعر بشير ومعه القصيدة كاملة وهداها له ليلحنها ويغنيها وفعلا غناها ابراهيم وبعد فترة من الزمن تعارفنا انا وابراهيم ، وطلبت منه ان يهدنى القصيدة لانى معجب بها لانها كانت اول اغنية سياسية غير مغلفه وخفيفة من حيث الكلمات والمعانى وصرت اغنيها فى كل مكان ولكن لم اسجلها لاى جهة رسمية

المدرسة

كلمات ولحن خليل فرح

يلا نمشى المدرسة	سادة، غير اساور غير رسا
يلا سيبى الغطرسة	قومى افرزى كتب المدرسة
الساعة ستة دقت يا ام رسا	نايمة والمنبه حارسا
يلا نحضر مجلسا	وانتى لسه لينه مملسة
بكرة تبقى غادة ومخلصة	ما بتفوت عليك مخالسة
دارسة مالك جاهلة مخنسة	قادلة بى . كتابه مؤنسة
حاشا ما تربيتى مدنسة	لسه لسه عزك ما اتنسى
قالوا جاهلة وخاملة مدسدسة	ابدى من عليمة مقدسة
أسأليهم اهل الهندسة	الدنيا دايرة وله مسدسة

المدرسة

خليل فرح

الفها الخليل لاول فتاتين سودانيتين دخلتا مدرسة الاتحاد العليا فى العشرينات وهم نقيه فرج بيه ابوزيد ، واحدى بنات اسرة الخانجى المعروفة بالعلم والمعرفة وكانت نقيه ايضا اول من قادت عربة خاصة تملكها واول من عزفت على البيانو الذى كان ملكا لها وابدعت فى اجادته وسوف اتكلم عنها فى غير هذا المكان

فتاتي وبلادي

سلام فيه تبريح وشوق
وشوق الحر تعشقه الندامى

***

يا فتاتي انت لا تدرين ما بي
من هوى تلك الروابي
في ضفاف النيل كم يحلو عذابي
هي لحدي . . هي خلدي . . هي مائي . . وسرابي

***

يا فتاتي اسكبي في الكأس خلدا
واسقنيه حنظلا ام كان شهدا
اسقنيه لا تبالي قد اتى اليوم المفدى
قد قسمت ان اعيد اليوم للسودان مجدا

***

يا بلادي من حياتي من دمائي هات كأسك فاملئيه
يافتاتي انت طبي ودوائي فهاك جرحي ضمديه
فانت يا ليلى وبلادي
كل شيء في فؤادي

حسين عثمان منصور

هذه الاغنية الوطنية الفها الشاعر الشاب الثائر على الإستعمار وهي من الاغاني المغلفه وتحوي كل انواع الكلمات التي تعني طرد المستعمر وتجلى في كلماتها حيث البلاغة والمعاني المزدوجة ذات الوجهين الغزل الرفيع والطرب ـ طرد المستعمر ببلاغة وديلوماسية عالية وكان الشاعر الشاب لم يتجاوز العشرون من عمره وكان طالبا بالثانوى،،

اغنية الجنوب

كلمات المرحوم المرضي محمد خير

خفه شوق طروب كلما قيل الجنوب
جنة الخلد قطوف وزهور وطيوب
وهفا القلب ونادى اين مني يا جنوب

***

قبل الطل الزهورا يترحن سكارى
وسقى الفجر الثغورا فتمايلن العذارى
وكسا الغيم التلالا فتمددن ظلالا
والندى ذاب وسالا يحمل السحر شمالا

***

واتى النيل الضفاف فتراقصن خفافا
يقترفن الحب والمنحة والفرحة والود اغترافا
وشدا الطير وغنى شاعر يسكب لحنا
قدسيا ليس يفنى يملا الارواح فنا
مثلما تهوى القلوب اين مني يا جنوب

***

اين مني ذلك الوادي وهاتيك الجبال

والنـــدى الـرقـراق ينســـ ـاب وتمـتـد الـظلال
والـربـى تختـال في وشـي وتخـتـال التـلال
والنسـيم الـرخـو يلهـو والـظلال العـذب الـذلال
والـعـذارى الـغيـد كالـليـل هدوءا وجمـال
نحـن يا قلب جنـوب والهـوى فيـنـا شمال
لهف نفسـي يا جنـوب ايـن مني يا جنـوب

(الجنوب) جنوب السودان

هذه القصيدة نظمها الشاعر المهندس مرضي محمد خير (ميان) عندما نقل الى جنوب السودان للعمل الحكومي هناك وهو مكره لبعد الجنوب عن العاصمة ولصغر سنه والغربة. وصل مقر عمله بالجنوب واندهش جدا عندما وجد غير ما كان يفكر فيه وجد عالم اخر، جمال الطبيعة في غاباتها في نيلها المتفرع المشحون بكل انواع حيوانات النيل المفترسة والاليفة المسالمة وحسان الجنوب باجسامهن الابانوسيه ورقصاتهم الجميلة التي تقام كل يوم ليلا تدق فيها الطبول ويرقصون ازواجا ويتغنون باغاني تتناسب مع الوقت اذا فصل الخريف او الشتاء اوزمن الحصاد واندمج الشاعر (ميان) ونسي كل شيء عن الشمال وفي تلك اللحظات حضر من الخرطوم ابو الصحف والاعلامي الكبير احمد يوسف هاشم وزار صاحبه المرضي واظنه سكن معه وقضى ماموريته وقفل راجعا الى الخرطوم ولكنه لم يرجع وحده بل كان يحمل معه هذه القصيدة مرسلة بتوقيع مرضي لكي الحنها واغنيها في الاذاعة ويسمعها في الجنوب في أقرب فرصة ان امكن برجاء شديد ولم اخيب امله بل قمت باللحن والغناء وسجلتها فعلا بلحن صورت فيه الوابور وصوتها وكيف ابحرت ووصفت حالته بعد ان حكاها الى ابو الصحف.

سعاد

كلمات حسين عثمان منصور

هبي يا سعاد وانتي يا ثريا نعلن الجهاد ننشد الحرية
هبي يا عديلة وقبلي سلاحي خففي الالم ضمدي جراحي

طرزي العلم غني لي كفاحي | يا فخر الشعوب عشت يا سوداني
دقات الطبول هتفت ليك تنادي | حرر السهول وانصر البوادي
وازحف كالسيول في وجه الاعادي | يا فخر الشعوب عشت يا سوداني
في كتاب الخلود سجلت المعاني | كسرت القيود حققت الاماني
ليك بالروح بجود رددت الاغاني | يا فخر الشعوب عشت يا سوداني

سعاد اغنية وطنية

للشاعر حسين عثمان منصور احدى روائع الشاعر حسين عثمان منصور تكتبها بخيالها وبعدها عن مدح اي شخص غير السودان وارض السودان وبنت السودان وعلم السودان وجهاد السودان وتعليم السودان. . .

جناين الشاطيء

كلمات ولحن خليل فرح

بين جناين الشاطي وبين قصور الروم
حي زهرة روما وابك يا مغروم
درة سالبة عقولنا لبسوها طقوم
ملكة باسطة قلوبنا تبيت عليها تقوم
الطريق ان مرت بالخلوق مزحوم
كالهلال الهل الناس عليها تحوم
شوف عناقيد ديسا تقول عنب في كروم
شوف . وريدا المائل زي زجاجة روم
القوام اللادن والحشا المبروم
والصدير الطامح زي خليج الروم

خلى جات متبوعة الصافية كالدينار
فى القوام مربوعة شوفا عالية منار
موضة آخر موضة هيفا غير زنار
روضة داخل روضة غنى فيها كنار
شوف جبينا اهل ضو فوقه فنار
منه هل الشارع منه بق ونار
طالعة ما بتتقابل زى لهيب النار
تحرق البتهابل والبعيد فى نار

بين جناين الشاط وبين قصور الروم حيى زهرة روما وابكى يا مغروم

هذه القصيده نظمها الشاعر خليل افندى فرح لفتاة يونانية كانت تسكن فى قصر فى الحى الافريقى شارع المحطة الاوسطى الجمهورية الان، وكانت الفتاة ذات حسن رائع حباها الله بقوام فاره رائع وشعر ذهبى وخطوات موسيقية موقعة وكانت عندما تظهر فى اول الشارع يتبعها كل المارة الى حيث شاءت واعجب بها الفنان الشاعر الاديب خليل افندى فرح ونظم لها هذه القصيدة اعجابا بجمالها ونحن نتيكها للتمعن فيها وفى معانيها وكيف كان الخليل يتغزل فيها والغريب فى هذه الحكاية ان الفتاة كان اسمها باليونانى على حسب ما سمعت هو (مرينا) ولكن كان الخليل يجهل اسمها ولكنه لم يحتار اويفكر فبداء قصيدته بالمطلع جناين الشاطىء منازل الانجليز وقصور الروم منازل بقية الاجناس من الاجانب (وابكى يا مغروم يقصد نفسه وبقية القوم من السودانين وبهذا يكون خليل قد انتهى من وصف مدينة الخرطوم / والغريب فى الموضوع ان الفتاة عرفت بان احد شعراء السودان عمل لها قصيدة يتغنى بها جميع اهل العاصمة المثلثة واصبحت مشهورة جدا ويعرفها جميع اهل العاصمة ويقال انها طارت من الفرح ولم تنم لايام طوال لانها ما كانت تعرف انها بهذا القدر من الجمال وطلبت من خدمها ان يعرفوها بهذا الشاعر لتشكره ولا اعلم هل تم اللقاء ام لا بل اعرف انها تزوجت احد ابناء جنسها والعجيب فى الامر انها لم تعش معه كثيرا بل تزوجت ايضا من طبيب كان يسكن مدنى وعاشت معه باقى عمرها و لم يزل منزلها موجودا حتى الان وقد اشتراه السيد السفير السودانى الامين محمد الامين ويسكن فيه الان هو واسرته اعجابا بالمنزل الظريف واصحاب المنزل. .

فيردا لونا

كلمات محمد احمد محجوب

غنني من لحنك العذب الحنونا ... رب لحن يملأ النفس شجونا
واذكرى البدر على خضر الربا ... يانعا غضا على مر السنينا
فضض الماء فضجت حوره تتغنى ... يا حبيبي فيردا لونا

***

فانثنى يخطر في الروض ثنا ... يبعث الفتنة فيه والفتونا
ويناغيه بالحان الهوى ... ويوشي زهره والياسمينا
فتموج الطير في اغصانه ... تتغنى يا حبيبي فيردا لونا

***

ذكر البدر وقد طال النوى ... فتنة الغاب وصداحا مبينا
فرنا يشقث في الغاب الزغى ... ويشيع البشرة فيه والفتونا
فاذا الغاب اسودا وظبا ... تتغنى يا حبيبي فيردا لونا

فيردالونا

القمر اليافع ـ او القمر الاخضر

فى رحلة من رحلات الاخ الصديق العزيز الأديب المهندس الشاعر القاضى المحامى السياسى الى اوربا فى صيف سنة ٥٣ الى اوربا وفى اثناء تجواله بالقطار وفى مدينة روما وكان القطار يبث اغانى هادئة جميلة من اغانى وموسيقى جميع دول اوربا استمع شاعرنا عنوان قصيدة باسم فيردالونا وانتبه اليها وسمعها من اولها الى آخرها بانتباه شديد فأعجبته الاغنية بالرغم من لغتها الايطالية وخصوصاً عنوانها وفى التو اخرج قلمه وقرطاسه وسطر الاغنية الفيردالونية الجديدة السودانية ورجع المحجوب الى السودان . وذهبنا له للتحية والسلامة وبعد لحظات اخذنى الى احد صوالينه وقال لى سأهديك هدية تذكرنى بها مدى الحياة واخرج الورقة بسرة وقرأتها عليه مرتين وثلاثة

وربحت اردد فيها كذا يوم باحثاً عن اللحن الذى يليق بعظمة الاغنية وفكرت اخيراً بأن بعض اخوانى الموسيقيين الذين لهم باع طويل فى ذلك الوقت وربست مركبى على الاخوين عبد الله عزبى والاخ برعى محمد دفع الله واعطيت كل منهم نسخة للاغنية. وبعد ان حفظوها وكل واحد منهم وضع تصوره ولحنه الكروكى الاولى.

واخبرت المحجوب بما حصل للاغنية وكلفنى بان أدعوهم للغداء فى اى لحظة فى اى يوم يحصل واجتمعنا ودار نقاش كبير اخذ ساعات فى كيف ندخل على الموسيقى المقدمة ثم موسيقى المذهب ثم المذهب نفسه ثم الموسيقى ثم اول المقطع من الاغنية والى آخر الاغنية وكنا كلنا نشترك فى تركيبة اللحن حتى المحجوب نفسه كان يشارك بأن يقول هذا المقطع فى نظرى يشير بهدوء وهذا يجب ان صارخ و. . و. . الى آخره

والحق يقال كان الضلع الأكبر للفنان برعى محمد دفع الله الفنان عبدالله عربى وهكذا لفترة اسبوع كامل وخرجت الاغنية وغنيتها كذا مرة ولاقت رواجاً لا مثيل له وغنيتها ايضاً فى عيد جلالة الامبراطور هيلا سلاسى ولاقت اعجاباً شديداً م الاخوة الاثيوبيين رغم أنهم لا يعرفون كلمات الاغنية، ولكنهم طربوا ورقصوا فيها ليالى وليالى.

حيى لقاء بطلين

كلمات عبد المنعم عبد الحى

حيى لقاء بطلين يا شادى حيى امل منشود
حيى [جمال؟ يا شعب الوادى وحيى اخاه عبود]
والجفوة الخلقوها اجانب راحت ما بتعود
ديمة نعيش اخوان وحبايب وجمالنا شقيق عبود

***

حيوا كفاح شعبينا تمثل فى عبود وجمال
وحيوا الحب فى الوادى تأصل من اقدم الاجيال
والجفوة الخلقوها اجانب راحت ما بتعود
ديمة نعيش اخوان وحبايب وجمالنا شقيق عبود

***

يا جمال يا عبود املوا الوادى سدود
املوا الودى مصانع خلوا خير الوادى يجود
والجفوة الخلقوها اجانب راحت ما بتعود
ديمة نعيش اخوان وحبايب وجمالنا شقيق عبود

فى زيارة الرئيس ابراهيم عبود لمصر ١٩٦٠ بعد عودته من يوغسلافيا وكنت آنذاك فى اجازتى السنوية للقاهرة وكانت معى زوجتى وكنت اسكن فى اول شارع شريف فى شقة فى عمارة حسنين السيد وكنت على اتصال بالاذاعة المصرية شارع الشريفين وكتبت كل الصحف المصرية بان الرئيس السودانى ابراهيم عبود سيزور القاهرة وأعدت العدة لاستقبال الرئيس السودانى ومن ضمن برامج الاستقبال عمل حفل كبير بالاسكندرية بقصر رأس التين تحييه فرقة اضواء المدينة يرأسه المذيع الاستاذ جلال معوض وانتخب لذلك المهرجان عدد خيالى من الفنانين لاحياء الحفل الساهر بالاسكندرية.

والفنانين بدون ترتيب: عبدالحليم حافظ ـ شادية ـ صباح ـ نجاة الصغيرة ـ فايزة احمد ـ ليلى مراد، والمنلوجست احمد الحداد ومن الضيوف الفنانين العرب آنذاك احمد ناجى من اليمن وكان طالب بمعهد الموسيقى العربى وليلى الجزائرية فى زيارة لمصر للمرة الثانية فى حياتها وحسن عطية المطرب السودانى وكانت مقدمة البرنامج الممثلة الشابة زبيدة ثروت.

وصلنا جميعاً الى الاسكندرية فى الميعاد المحدد وكان الضيوف من الفنانين وبعض الفنانين المصريين ينقلهم بص جميل مريح مجهز من كل شىء لأسباب الراحة وبعض الفنانين الكبار اتوا بعرباتهم الخاصة ودخلنا الى المكان المخصص لنا وكان مريحاً وجميل جداً وبدأ الاستاذ جلال معوض فى قراءة البرنامج ليعرف كل مطرب دوره والساعة كام، وكان فى رأس القائمة الفنان عبدالحليم حافظ وهنا حدث ما لم يكن فى الحسبان اذ ان الفنان عبدالحليم حافظ بمواعيد استديو ـ لتسجيل اغنيه كبيرة ومحجوزة كل الاستديوهات والعازفين والمخرجين مما يستوجب وجوده بالقاهرة فى اليوم التالى مرتاحاً وكان مصراً فى ذلك وله الحق.

وحدث هرج ومرج شديدين بحجة انه اذا غنى الفنان عبدالحليم لانه سيأخذ منهم «السوكسى» والاعجاب واصر عبدالحليم على موقفه وايضاً أصر الفنانون على موقفهم

وفي هذه اللحظات وصل الرئيسان وتصدرا الحفل ولم يتبقى على بدء الحفل الا دقائق معدودات ، وجن جنون الاستاذ جلال معوض صارخاً «مش ممكن يا جماعة لازم واحد ينقذنا من الموقف دا» ، فتقدمت منه أنا قائلاً : «سأغني بعد الحليم حافظ» . فنظر الى من فوق الى تحت ومن تحت الى فوق وقال لي «انت»! ورديت «نعم» قال «اوركسترتك جاهزة» وقلت «نعم وبرئاسة الاستاذ نصر عبدالمنصف» وقد كان الاستاذ نصر اكبر منوت موسيقى وكان ينوت لمحمد عبدالوهاب وام كلثوم وعبدالحليم وعندما تغيرت نظرة الاستاذ جلال عني لأنه وجد ان الاغنية ستعزف برئاسة نصر عبدالمنصف ومقال لي «والله جميل» وقلت له «على شرط ان ينتظرني الاستاذ عبدالحليم لاعود معه بعربته الخاصة للقاهرة لان زوجتي معي لوحدها في الشقة» .

وكان عبدالحليم يستمع لهذا الحوار فسأل جلال عبدالحليم «إيه رأيك يا استاذ عبدالحليم»؟ فرد عبدالحليم جداً العربية فاضية يطلع معايا على طول بس بتاخذ اغنيتك كام يا استاذ حسن»؟ «فرديت عشرة دقائق» . فرد عبدالحليم «مش معقول» فقلت «والله» وقال انتظرك وانتظر عشرة زيك .

أعلن عن عبدالحليم ودخل فغنى واطرب وفعلاً اخذ كل الاعجاب من الحاضرين كما كان متوقعاً ولكن هذا لم يهزني اطلاقاً لسبب واحد هو ان لوني الغنى يختلف عن بقية الألـوان ويبـدو انهم نسـوا هذا الاختـلاف . ثم اعلن عن اسمي ودخلت الاوركسترا المتكونة من خمسة وعشرين شخصاً وكان اللحن مقتبساً من أمريكا اللاتينية وضجت الصـالـة بالتصفيق الحـار والهتـافات وعندما انتبهت وجدت ان الهتافات والتصفيق كان كلها من اخواننا السودانيين المقيمين بمصر . وعندما انتهت الاغنية وعدت خلف الكواليس هنأني الفنان عبدالحليم قائلاً : «والله انت عظيم والجماهير معجبة بيك قوي ، يلا بينا الى القاهرة» وعدت معه بالعربة ووجدت زوجتي مستيقظة تستمع لبقية الفنانين عبر المذياع .

خاتمة

وبعد عزيزي القارىء:ـ

هذه حياتي كما عشتها بكل نجاحاتها واخفاقاتها بين يديك لم احاول ان ازوّرها او ادّعي ما ليس لي.. وقد قصدت ان انشرها للملأ لان اجيال من الفنانين ابدعت وقد طوى بعضها النسيان بسبب عدم تسجيل مذكراتهم ولعل السبب يرجع الى ان بعضاً من هؤلاء كان يجهل القراءة والكتابة اما انا فقد حظيت بقدر غير قليل من التعليم مما ساعدني في هذا الخصوص. ايضاً فقد حاولت ان اسجل الفترة الذهبية للفن والمجتمع مجتمع الثلاثينات والاربعينات والخمسينات والستينات حيث كان العيش سهلاً والحياة تحفها الرفاهية.. في هذه الاجواء ازدهر الفن وازداد معجبوه ومحبوه.

وقد كان حظ ابتداع عزف العود مع الاداء الغنائي ما تقدمت به للاذاعة عام ١٩٤٠ وقد سبقني للاذاعة الحاج محمد احمد سرور حيث قدمت اغنية خداري وهي من كلمات الشاعر عبدالرحمن الريح ثم تواصلت اغنياتي العاطفية وتلك التي ترتبط بالمواسم والمناسبات والاعياد حتى وصل عددها الى ٢٣٥ اغنية ونشيد.

كما عملت رئيساً لاتحاد الفنانين بعد الدكتور محمد ادهم ثم نقيباً لها بعد ان سجلتها وقد كان اعضاء الاتحاد آنذاك الفنانون: احمد المصطفى، عافاه الله وحسن سليمان، ودكتور ادهم، عبدالحميد يوسف، عثمان حسين، يس بحر.

كما اتيحت لي فرصة التسجيل للعديد من الاذاعات العالمية مثل صوت امريكا والبي. بي. سي واذاعة كولون، «المانيا» وصوت فرنسا وكل الدول العربية والافريقية وكنت اول فنان يسجل لاذاعة الامارات العربية المتحدة واول فنان سوداني يغني في التلفزيون المصري لزواج الملك فاروق في الدائرة التلفزيونية التي جلبها الملك من فرنسا لتغطية حفلات زواجه لمدة اسبوع. وقد كان لي صولات وجولات ولقيت اغنياتي صدى واسعاً من الاستحسان والقبول وقد سعدت بهذا سعادة ما بعدها سعادة وقد طوقني شعبي بأكثر ما استحق من التقدير والعرفان فمنحت في مهرجان تكريم الفن الغنائي «جمعية الفكر السوداني» اكتوبر ١٩٦٩ الميدالية الفضية والميدالية الذهبية بمناسبة معرض

قوات الشعب المسلحة في عيد الاستقلال العشرين وكذا وسام ذهبي من قاعة الصداقة وميدالية ذهبية من اصدقائي بنادي الخرطوم ووشاح واهداء من مركز شباب الربيع مايو ١٩٨٣ واهداء نادي النصر الرياضي «جمعية الفن والموسيقى بامدرمان» بمناسبة العيد الفضي للجمعية عام ١٩٨٦.

وقد منحني اتحاد الدبلوماسيين السودانيين العضوية الفخرية وكذا نقابة الاطباء العضوية الفخرية، وجامعة امدرمان الاهلية وكنت احد مؤسسي نادي الخرطوم.

ولا يخفى على القارىء ايضاً انني عمدت الى رصد الحياة والمجتمع العاصمي آنذاك والوقوف على النشاطات الاجتماعية المختلفة وسرد سير الاحباب من المواطنين والاجانب القاطنين في مدينة الخرطوم وقد تفيد بعض الدارسين من هذا الجانب.

هذا ما خطر ببالي الآن ولعل القارىء الكريم قد ألم بتفاصيل هذا الكتاب الذي رجوت ان يكون فيه بعض النفع. والله أعلم؟..

ولقائي مع الجزء الثاني من مذكراتي قريباً ان شاء الله